بقلم كاتب مسلم كبير

المملكة المستورة

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ٭ " قرآن كريم "

ملتزمة طبعه ونشره
مكتبة الهلال - بالفجالة بمصر

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء الكتاب

لكل مسلم ومسلمة

obeikandl.com

ذات خمسة فصول

الأول والخامس فى جهنم ، الثانى والرابع فى الكعبة المطهرة

الثالث فى دار الندوة

obeikandl.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نهدى إلى كل قارىء مسلم ومسلمة كتاباً وضعناه لم نقصر فيه عما استطعنا من النصح للأمة والحرص على ارشادها إلى الحق وهدايتها إلى سبيل المنفعة فيما تبغيه وتسمو إليه من مرافق الدنيا وأمور الدين .

نهدى هذا الكتاب إلى كل قارىء مسلم ومسلمة لا نرجو منهما أجراً عليه ولا جزاء له إلا إحسان العناية به وإجادة النظر فيه والإستبصار فيما يشتمل عليه من موعظة وحكمة ومن نصيحة وهدى .

ولسنا ندعى أننا قد بلغنا من كل ذلك أقصاه أو وصلنا منه إلى غايته وانما نعلن أنه غاية ما نستطيع أن نصـــل إليه على أن مادته الدين الصحيح والعلم النافع توخيناهما بدقة وامعان .

ولئن كنا قد ألبسناه ثوب الخيال فانا لم نغال فى ذلك ولم نبالغ فيه وانما قصدنا إلى الحقيقة المرة ذات المنظر المؤلم فأسبغنا عليها من الخيال ما يسيغ مذاقها ويذهب بشىء من بشاعة منظرها .

ولعمرى إن الانسان لخليق أن يقابل الحق وجهاً لوجه لا يزهد فيه ولا يتبرم به ولكن ذلك إن لم يكن مستحيلا فهو بعيد .

ولن يصيب الكاتب الذى يعرف من طبيعة الناس حب الهيّن وبغض الشاق والنفرة من الدواء إذا كان غضاً .

لن يصيب الكاتب إذا صدم الجمهور بحقيقة جافية المنظر غريبة الخلق لأنه ان فعل لم يزد على أن يبغض الجمهور فيه وينفرهم منه ويصرفهم عن حقه إلى باطلهم وعن رشده إلى غوايتهم ويعرض نفسه لسهام من اللوم صائبة ونصال من الذم جارحة وقالة بين الناس يشيع شرها الآن ويحفظ نكرها فى مستقبل الدهر ومستأنف الأيام !!

لذلك عمد المصلحون فى عهد الهنود القدماء إلى الرسائل والأقاصيص الخيالية يفعمونها بالموعظة ويملأونها بالعبرة يضمون رأيهم الاجتماعى والدينى أو الفلسفى الهادم للعادات السيئة والآراء الفاسدة فى قالب من الخيال عذب رائق فيتناوله الجمهور بالإبتهاج والإعجاب ولا يكاد يعكف عليه وينظر فيه حتى تظهر آثاره النافعة ونتائجه الحسنة .

ولقد كنا نود أن نكون المبتدعين لهذا الخيال المخترعين لنظامه المستبدين بحسنه وروائه ولكننا لم نستطع ذلك ولن نستطيعه إلا بعد جد وعناء .

وإنما الخيال اختراع فيلسوف حكيم وكاتب طائر الصيت هو الفيلسوف الروسى « تولستوى » .

فقد وضع لبيان ما عرض على الدين المسيحى من تغيير واختلاف كتاباً سماه « مملكة جهنم » وزعم أن قصته جرت على الشياطين فأحببنا أن نصنع ذلك لبيان ما عرض للدين الإسلامى فى نفوس العامة من فساد وتبدد وسمينا كتابنا . . . . « المملكة المعمورة » .

على أن بين طريقتنا وطريقة الفيلسوف فرقاً من وجهين :

الأول — انه وضع كتابه ليبرهن على فساد الدين المسيحى فى نفوس الناس وكتب العلماء وأن ما وضعته الكنيسة من الطقوس والنظامات إنما هو من عمل الشيطان لا من وحى الله تعالى .

أما نحن فلم نقصد إلا إلى بيان أن ما فى نفوس العامة من شكل الدين بعيد كل البعد عن حقيقته الظاهرة وطبيعته الطاهرة التى لا تزال واضحة جلية فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وما يتبعهما من كتب العلم ومقالات الأئمة .

فنحن لا نميل إلى أن الدين الإسلامى قد عرض له من الفساد العلمى فى الكتب والمقالات شيء يخاف منه وإنما كل همنا اصلاح شكله النفسي .

الثانى — ان الفيلسوف سلك فى كتابه مسلكا دينياً صرفاً فنبذ المادة وآثارها وذم العلم الحديث ونتائجه فلم يرض علم النجوم ومراصده ولا الطبيعة والكيمياء ومعاملها ولا المطبعة والمطبوعات وما اتصل بذلك بل أراد أن يجعل العالم فى هذه الأيام كما كان فى عهد المسيح صلوات الله عليه .

ولسنا نلوم الفيلسوف فى ذلك ولا نعتذر عنه لأن هذا المقام لا يسمح بشىء من هذا وإنما نقول إنا لم نسلك هذا المسلك ولم ننح هذا النحو لأنا نعتقد أن الدين والدنيا كليهما لا ينفع أحدهما بدون الآخر .

فليست الدنيا إلا مادة تسيرها قوة إذا لم تنظم اندفعت بها فى غير طريق وليس لهذه القوة نظام إلا الدين .

وعلى كل حال لم نر أمة عاشت ملحدة فنحكم باستقلال الدنيا عن الدين كما أن من المستحيل أن تعيش أمة متدينة قد انقطعت الأسباب بينها وبين الدنيا إلا إذا كانت مساكنها فى السماء .

لذلك المسنا فى كتابنا بطرفى الإصلاح الدينى والدنيوى ورجاؤنا أن يتقبله الله تعالى قبولا حسناً وأن يصل به القراء إلى ما ينفع ويفيد والسلام ؟

المؤلف

obeikandl.com

الفصل الأول

[جهنم ملتهبة ، وقد وقف عليها جماعة من الوافدين وقد أخذ جماعة منهم قباح الوجوه يسكون الناس ويلقونهم فيها وهؤلاء يصيحون ويستغيثون وعلى مقربة منها مجلس الشياطين وقد جلس فى صدره رئيسهم إبليس بوجه كالح وهو مبتسم ابتسامة سيئة وحوله أعوانه وأتباعه بأشكال مختلفة جداً إلا أنها فى الجملة قبيحة من كل وجه . .]

* * *

الزبانيـــة : [من الداخل]

مرحبا بالضيف يأتى مرحبا أضرموا النار وأذكوا اللهبا
واقذفوا الأضياف فيها حطبا فقرا الضيف هنا هذا السعير

* * *

من عصى الله ولم يسمع لما أمر الله استحـــق النقما
وغدا فى النـــار يلقى حرباً عانيـا ما بين حر وزفير

سكان جهنم : [من الداخل يستغيثون]

ربنـــا هل لنـا مطمع فى سواك
أولنـــا كلنا نفحة من رضاك

* * *

قد أطعنـــا الغرور وأضعنا الصواب
وغرســـنا الشرور فجنينـــا العـذاب
ولبثنـــا الدهـور فى أشد العقاب
فاغتفر جهلنـــا لم يخب من رجاك

الشيـاطين : [من الخارج]

نحن جند الشر أنصار الفساد وحماة الغي أعداء الرشاد
همنا فى الأرض إضلال العباد عن سبيل الله والنهج القويم

كم أمحونا آية الحق المبين وخفضنا راية العدل المكين
وتركنا الناس من شر العناد فى خصام ونزاع مستديم

* * *

كم صرفنا الناس عن دين صحيح ودعوناهم إلى دين قبيح
فاستجابوا بولاء ووداد واستلذوا الإثم والفحش العظيم

* * *

قد بسطنا ظلنا فانبسطا وفرطنا عقدهم فانفرطا
فليعش ملك الشياطين الشداد ولتعش معمورة دار الجحيم

* * *

ابليس : [يجلس على كرسىّ عال وأمامه أعوانه وأتباعه]

نعم أيها الأعوان ، هذه هى المملكة المعمورة التى تنتهى إليها سبل الحياة فهى أشبه شىء بالبحر المحيط يمتصّ جميع أنهار الدنيا !

نعم هذه هى ، المملكة المعمورة التى يظهر زخرفها لأعيننا وأعين المفتونين بأحاديثنا وأكاذيبنا الباطلة وما هى فى الحقيقة إلا سجن أليم يجمع التعاسة والشقاء لأولئك المنكوبين البائسين من أبناء الإنسان .

إنى لتأخذنى عليهم الشفقة والرحمة ، ولكنى لا أستطيع أن أستجيب لهاتين العاطفتين ، بل أعتقد أن من الواجب علينا أن نعمل لما خلقنا له فنغوى من استطعنا إغواءه من عباد الله حتى يسيروا طائعين أو كارهين إلى جوارنا ، حيث يلقون منا أحسن ما يقرى به الأضياف من عذاب شديد وحظ منكود ، ثم نحن نخيل إليهم بعد ذلك أنهم إنما يعملون فى هذه الحياة عن روية واختيار .

مساكين أبناء هذا النوع ، فانهم يلقون فى حياتهم أشد البؤس ، وأقبح المحنت ، ثم لا يجنون من صبرهم واحتمالهم إلا عناء وبلاء .

لقد علم بارئهم الذى فطرهم ومنّ عليهم بنعمة الحياة أنهم ليسوا أشد منا قوة ولا أصعب مراساً فلماذا سلطنا عليهم ، وحكمنا فيهم ، وجعلهم نهباً مقسما لأطماعنا السيئة ونفوسنا الباغية . . ؟

يقولون : إن مصدر هذا حكمة مطلقة ، ولست أدرى ما هى الحكمة . . ؟

ولكنى ملزم بتنفيذها فأنا فى عملى هذا مطيع لله ، لا خارج عليه فاسمعوا لى وأطيعوا أيها الأعوان المخلصون ، وليمض كل منكم لوجهه ، وليتم كل منكم عمله.

افسدوا بين الأفراد والأمم !

اقطعوا الأسباب والوسائل بين الرجل وزوجه !

اغرسوا البغضاء والشحناء بين الأصدقاء !

حببوا إلى كل انسان ما فى يدغيره !

انزعوا من قلوبهم فضيلة الرحمة واحوا من نفوسهم أثر العدل !

ثم اغمروا الأرض ببحر خضمّ من الدماء دماء الأبرياء !

ثم مروا هؤلاء الزبانية فليفتحوا أبواب جهنم وليستقبلوا أولئك الوافدين عليها !

ضعوا فى نفوس الملوك حب الظلم ، وبغضوا إليهم كل مصلح . . !

واعلموا أن فى هذه الأرض عدوين متحاربين هما الخير والشر . . !

واعلموا أنكم انتم أنصار الشر وأن الزمان معين لكم منفذ لأغراضكم وأن أولئك النفر الذين يفلتون من أيديكم إلى نعيم الآخرة بعد أن يذوقوا أنواع الشقاء فى الحياة الدنيا هم أعداؤكم المصلحون ، وهم الذين لم تخلقوا إلا لإشهار الحرب عليهم فى كل حين وليس يرجى منكم أكثر من إرغامهم على ما تطلبون .

واعلموا ان الله قد فطر هذا العالم وبسط قوته عليه فلم يشذ من ذلك إلا مملكة الشياطين التى أنتم زعماؤها فمقامكم لذلك هو مقام المناظرين لله ! !

فاحتفظوا بهذه المنزلة الرفيعة واعلموا أن الله قد أنظركم إلى يوم البعث وهو لا يعاقبكم فى هذه الحياة فانتهزوا هذه الفرصة وخذوا لأنفسكم حظها من هذا السلام !

اضربوا بين الملوك وبين الشعوب بسور متين من الظلم والعسف واعلموا

أن نجاحكم فى ذلك رهين بأن تشعروا نفوس الملوك أنهم آلهة الأرض وتشعروا نفوس الشعوب أنهم مسخرون لإرادة هؤلاء الآلهة بأمر من إله السماء !

احتفظوا كل الاحتفاظ بتلك التماثيل التى تسمى آلهة !

حببوا إلى الملوك والرعية تعظيمها وتبجيلها وليتخذ كل منكم مثالا من هذه المثل فليسكنهم وليكلم الناس بلسانه إذا دعت الحاجة إلى ذلك !

وجملة القول إنه يجب عليكم أن تنصروا الشر فى هذه الحياة وأن تغلبوه على الخير فانكم لم تخلقوا إلا لذلك !

[يتقدم إليه كبير من كبار الشياطين ذو أنياب بشعة قد طالت أظافره وهى مغمورة بالدماء . . .]

الشيطان : أجل يا مولاى الرئيس إنا قد سمعنا نصائحك ووعينا وصاياك وليست هذه أول مرة دعوتنا فيها إلى ما يجب أن نفعله فان لك فى كل مائة عام موقفاً مثل هذا تذكرنا فيه بالواجب وتبين لنا فيه ما نحن ملزمون به فى هذه الحياة وإنا لسعداء بأن لا يأتى قرن أو بعض قرن حتى تظهر نتائج أعمالنا باهرة فاتنة فانك تعلم أن جهادنا فى هذه الدنيا ليس بريئاً من المعاندين المكابرين من أولئك الأنبياء الذين هم رسل الرحمة إلى الناس ولولا هؤلاء النفر ما احتجنا إلا إلى شىء واحد وهو أن نؤسس مملكة ثانية كهذه [يشير إلى جهنم] لتسع أفواج الضالين المضلين .

فان نبياً منهم وهو موسى ما زال ينازعنا وننازعه وينا هضنا وناهضه حتى انتشل من بين أيدينا شعب اسرائيل وأنقذهم من حكمنا وعذابنا أجيالا من الدهر .

ولولا مهارتنا فى تحريف الشرائع وتبديلها ما استطعنا أن نرجع هذا الشعب إلى حكمنا ولست فى حاجة إلى أن أذكر مع السرور والابتهاج نجاحنا الباهر فى صد هذا النبى عن شعب مصر ذلك الشعب الذى خدعته أوهامنا وأباطيلنا فلم يسمع لهذا النبى ولم يلتفت اليه بل تبعه فرعون وجنوده إلى حيث تلقتهم أنصارنا فروا بهم مسرعين إلى هذه المملكة المعمورة وهم الآن يقاسون أنواع العذاب وصروفه . ؟

كذلك يامولاى تعاقبت على شعب اسرائيل طائفة من الأنبياء لم يكونوا أقدر منا على قلوب الناس ، بل كانت الحرب سجالا بيننا وبينهم وكانت النتيجة دائماً أننا نحن الفائزون .

ولكن شيئاً واحداً يزعجنى ويوقع الرعب فى قلبى حتى كاد يصرفنى عما أنا بازائه من العمل وهو وإن كان بعيداً إلا أن من الواجب أن نتخذ له الحيطة قبل وقوعه !

الشياطين : [جميعاً بصوت واحد مزعج] ما هو . . ؟

ابليس : وذلك النبى العربى الذى سيظهر فى بادية الحجاز بعد حين من الدهر (١)
[ثم يوجه كلامه إلى كبير الشياطين] أليس كذلك ؟

الشيطان : بلى هو ذاك فما أعلمك بالغيوب وأحاديث القلوب !

ابليس : ولكن ما الذى تخافه من هذا النبى العربى ؟

الشيطان : أخاف شيئاً كثيراً جداً يا مولاى . إنك تعلم ان الشعب العربىَّ هو من أشدَّ الشعوب لنا إخلاصاً وولاءً ، وإن فقدنا إياه خسارة كبرى لا يمكن أن تعوض .

أضف إلى ذلك أن أنبياء بنى اسرائيل قد قرروا أن هذا النبى هو آخر الرسل إلى أهل الأرض ، ولا بد من أن تؤيده قوة كبرى من ذلك الإله القدير تضمن بقاء شريعته واستمرار دينه إلى آخر عهد الناس بهذه الدنيا .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ولد بمكة يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول وكانت وفاته على رأس ثلاث وستين سنة ودفن ليلة الاربعاء فى وسط الليل وكان الناس يصلون عليه ولم يؤمهم أحد أوحى إليه بمكة وهو ابن أربعين سنة فأقام بها بعد الوحى ثلاث عشرة حجة ثم أمره الله بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها وأقام بها إلى أن توفى وجعل عمر بن الخطاب يوم الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى فهو أعظم الحوادث أثراً فى تاريخ الاسلام وأجلها خطراً ولم لا ؟ وقد مكنت هذه الهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يجهر بدعوته جهراً كاملا وأن يدوى صوت الاسلام بعدها دوياً عظيماً فى الشرق والغرب .

ومن المدهشات يا مولاى أن بشائر هذا النبى قد أخذت تظهر متواترة فى بلاد العرب ، فبدأت تلك الأمة الوحشية السفاكة تثوب إلى السكينة والأمن ، وبدأ الناس يشعرون بميلهم إلى أن يكونوا أمة واحدة ، وأنه يجب عليهم أن يجتمعوا من كل صوب من العام إلى العام لتتحد ألسنتهم وقلوبهم ، وذلك كما تعلم يا مولاى نذير سيىء بقرب النازلة .

نعم إن النفور والبغض والعداء يزدادان من وقت إلى آخر بين هاتين المملكتين الكبيرتين مملكة الفرس والروم ، ولكنى لا أرى ذلك أيضاً إلا نذيراً سيئاً لآخر عهد هؤلاء الملوك المطيعين لنا ، وأن هذه الشعوب ستحرّر من ظلمنا يوماً ما ، وأن هذا اليوم فيما أظن لقريب .

فأشر علينا ماذا نعمل وكيف نتقى هذا الخطر الداهم الذى ينذرنا بسوء العاقبة . . ؟

ابليس : ما كنت أظن أنك جبان إلى هذا الحدّ [الشياطين يضحكون]
فأن تلك الحيلة التى غلبتنا على هؤلاء الانبياء ستغلبنا على هذا النبى وهل تظن أن قوة هذا النبى مهما عظمت ستكون أكثر من هؤلاء الأنبياء الذين غلبناهم . . ؟

هوّن عليك فأنما الدنيا ملك لنا نعمل فيها ما نشاء ، فأن جهنم قد أخذت تعلن احتياجها إلى الناس .

فليذهب كل منكم إلى عمله ، ولكن اجتهدوا فى أن تفسدوا تلك القلوب التى أخذت تصلح فى بلاد العرب ، وفى أن تحكوا تلك القروح التى أخذت تندمل حتى تعود دامية كعهدها ، وحتى تثور الحروب المنكرة .

فأن الأرض فيما أظن فى ظمأ إلى الدماء ، كما أن جهنم فى حاجـــة إلى الوقود .

الشياطين : [جميعاً نعم نعم] [ثم ينشدون بصوت منكر] :

هيا انهضوا للأذى واستقبلوا المنكرات
لستم بشيء إذا لم تنشروا السيئآت

* * *

لا تتركوا طائعاً لله أو عاصيا
حتى يرى نازعاً عن ربه قاصيا
عبداً لكم خاشعاً فى حبكم فانيا
أغروا بهذا وذا جنداً من المهلكات

* * *

لا تتركوا مسرحا قفراً ولا آهلا
إلا إذا أصبحا بجمعكم حافلا
فيه تدور الرحى بشركم عاجلا
لا تتركوا منفذاً للناس فى الصالحات

* * *

اذكوا أوار الحروب واستوقدوا نارها
واستنطقوا للقلوب فى اللهو أوتارها
قللملاهى ضروب ان تلق أنصارها
كونوا لها كالغذا تستتبع المخزيات

* * *

[هنا يتفرقون جميعاً ويبقى ابليس وحده وهو يطوف بجهنم . . .]

ابليس : [يطوف بجهنم] لله أنت أيتها المملكة المعمورة لا تشبع ما أحبك إلىّ الآن وأبغضك إلى نفسى غداً .

نعم أنت حبيبة إلى الآن لأنك تقبلين على الرحب والسعة من أبعث بهم إليك من الوفود فتعينى بذلك على تنفيذ خطتى ،

ومع أن لى الفضل فى بنائك وتأسيسك فأنى أبغضك أشد البغض ، ستصيرين بعد حين مأوى لى ومستقراً .

ولئن كانت ضحايا غوايتي يلقون فيك الآن أنواع العذاب فأن ما أدخرته لى من هذا العذاب أشد وأنكى ! !

نعم أنى أطوف بك الآن طواف الحـــاج للكعبة أقدسك وأعظمك ولكنى سألقى منك نكرا .

إن هول تلك الساعة التى تظفرين بى فيها ليخلع قلبي ويذهب برشدى على أنى أعانى عذاباً آخر ملازماً لى لا ينفك عنى طرفة عين ،

أعانى عذاب الندم ! !

أعانى وخز الضمير ! !

أعانى آلام النفس السيئة ! !

وكيف لا أندم وقد كفرت النعمة وجحدت الصنيع فأصبحت حرباً على من خلقنى وان كانت غوايتى لا تضره وطاعتى لا تنفعه ،

وهبنى نعمة الوجود فخرجت عليه ومنحنى فضيلة الحياة فلم أعرفها له .

فهل أنا بعد ذلك إلا دنىء خسيس . . ؟

انى لأعانى من هذه الخواطر آلاماً شديدة ولكنى صبور عليها فقد كتمتها عن أعوانى وأنصارى وبينت لهم أننا فى نعيم دائم لا يزول وأن السعادة والهناء مضمونان لنا .

هل من سبيل إلى عقد الصلح بينى وبين هذا الملك الكبير الذى حاربته ولا قبل لى به . . ؟

هيهات . هيهات . . ! !

قد سبقت الكلمة ونفذ القضاء وأصبحت مطروداً من رحمته بعيداً عن نعمته .

فلتنفذ مشيئته وليكن ما يريد ولأتم ما يجب على أن أتمه من معصية الله وعناده فأنى لا أخشى العذاب فى تأدية الواجب ،

ولو أن أبناء الأنسان اقتدوا بى فى هذه الفضيلة فضيلة الحرص على الواجب واحتمال الآلام فى سبيله لأمنوا شرى ولتمت لهم السعادة .

ويلاه . . إنى لا أستطيع أن أجيل ذكر هذا الأله فى قلبى وأنه ليرانى على هذا الحال السيئة ويسمع نجواى ثم هو مع ذلك لا يرحمنى .

فهل تعد هذه قسوة وظلماً . . ؟

كلا . كلا . إنما هو العدل يجب أن يأخـــذ نصيبه الكامل من النفوذ والاحترام ! ! !

إيه أيها الإله القادر إنى قد عصيتك فأمطر علىّ لعناتك من كل صوب فإنى لها أهل وبها خليق .

[يتمشى ويقرب من أحد أبواب جهنم فيتلقاه الزبانية باللعن، ويهجمون عليه بمقارعهم، ولكنها لا تناله . .]

كبير الزبانية : اخسأ أيها الشيطان الرجيم ، فإنى لأنتظر لك تلك الساعة التى أملكك فيها وأصب عليك من أنواع العذاب ما لا طاقة لك به .

إبليس : نعم وإنى لأنتظر هذه الساعة أيضاً ، ولكنى لا أنالها من غير ثمن، فسأقدم إليك كثيراً جداً من تلك الضحايا التى تضحى إرضاء لمطامعى وغوايتى ، فلا تتعجل هذه الساعة ياصاح فإنها قريبة .

إنك عدو لدود لى ، ولكنى أحبك وأشكرك وأثنى عليك ، لأنك تستوصى خيراً بوفودى الذين أبعث بهم إليك .

كبير الزبانية : بكرهى والله أن ينال أبناء آدم هذا العناء الذى لم يجنه لهم إلا أنت ، ولئن ظفرت بك لأنتقمن لهم منك ،

إبليس : حبذاً لو استطعت أن تنجيهم من هذا العذاب ،

كبير الزبانية : اخسأ أيها اللعين فعبثاً تحاول أن تغوينى كما أغويت ضعاف القلوب من أبناء الانسان .

وهل أنا إلا منفذ للعدل وممض لإرادة ربى ! ! ؟

[هنا تسمع ضجة من داخل جهنم ، ويرى الساكنون فيها وهم صائحون يتقدمون إلى الباب وهم يقولون . .] دعونا نخرج فقد تبنا وأنبنا . .

[يكر عليهم الزبانية فيضربونهم بالمقارع . سكان جهنم وقد تقطعت جلودهم]

لا حاجة لنا بالخروج كفوا عنا مقارعكم وخلوا بيننا وبين هذا الشيطان اللعين الذى أغوانا وأضلنا لننتقم منه .

إبليس : وهل جنيت عليكم ذنباً ؟ ولماذا أطعتموني واستجبتم لي . . ؟

[ثم يقهقه قهقهة مزعجة ، وهنا تسمع ضجة شديدة من البعد ، وأصوات الشياطين وهم ينشدون ، وصرير الأسنان ، وأصوات الصائحين ، ويعلو لهيب جهنم ، ويسمع منها صوت الابتهاج والسرور . وهنا يدخل الشياطين فيطوفون بالرئيس وهم ينشدون ضاحكين ، وخلفهم جمهور من الناس بين مقطوع اليدين ومطعون فى صدره ، ومهشم الأنف وكلهم صائحون . . . .]

الشياطين : [ينشدون] :

إيه يادار الجحيم استقبلى ذلك الوفد بأبهى محفل
وأكلى إن كنت لا تأكلى من جسوم عودت لمس الحرير

* *

عودوا من قبل لذات الحياه فأذيقهم أفانين الأذاه
وأقيموهم بشر النزل بين حر وشهيق وزفير

* *

قد بلغنا ما نرجى ونزيد فأبلغى فيهم من البؤس المزيد
واتكرى فعل الرئيس البطل مبدل النعمى ببؤس وسعير

* *

القوم : ربنا عفوك ومغفرتك فما أضلنا إلا الشياطين .

[يتقدم اليهم الزبانية فيسوقونهم بالمقارع ويصيحون فيهم . . .]

ألم يأتكم نذير ؟

القوم : بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وكنا من أصحاب السعير .

[الزبانية يزجونهم فى جهنم ، ويسمع منها صوت مزعج]

إلىّ إلىّ هل من مزيد . . ؟

إبليس [لأعوانه] : شكراً لكم أيها الأعوان ، فلا بد من أن أقسم بينكم مكافأتكم على هذه الأعمال الجليلة ، ولكن ما هذه الوفود . . ؟

[يتقدم اليه الشيطان ذو الأنياب والأظافر المخضوبة بالدماء . . .]

هذه يا مولاى الرئيس ضحايا الحروب التى أشهرتها بين الفرس والروم وبين قبائل العرب .

نعم من أجل عشرين ناقة رهانا بين متسابقين من العرب أشهرت الحرب بينهما أربعين سنة ومن أجل ناقة واحدة رماها زعيم تغلب وهو كليب ، ثارت الحرب بينهم وبين أبناء عمهم بنى بكر بن وائل اربعين سنة .

ومن أجل أن أخا النعمان بن المنذر ملك الحيرة رمى ناقة لرجل من تميم فقتلها ، فقام هذا التميمى وقتله ، حلف النعمان ليحرقن من بنى تميم مائة رجل بالنار ، فقد حرقوا بالنار فى الدنيا ، وهم الآن يحرقون فى هذه النار الخالدة ، هذا قليل من ضحايا العرب وحدهم .

أما ضحايا الفرس والروم فلا أستطيع أن أحصيها ، وإنما أقول إن شعبين كبيرين يهلك أحدهما الآخر ارضاء لمطامع رجلين قد جلسا على عرشيهما وزعم كل منهما أنه إله أو خليفة إله .

ابليس : [يصفر صفيراً مزعجاً ، ويثب وثبة منكرة ، ويصفق بيديه ويقهقه حتى يكاد يستلقى على ظهره . . .] إنك لماكر محتال ، وإن هذه لمهارة تشكر عليها .

أحد الشياطين : وهذه ضحايا السرقة يا مولاى !

آخـــر : وهذه ضحايا الزنا !

آخـــر : وهذه ضحايا الأوثان !

آخـــر : وهذه ضحايا الكذب !

ابليـــس [مقاطعا] : كفوا الآن !

[ثم تحدث ضجة ، فيطوفون بإبليس وينشدون بصوت مزعج . .] :

يا شياطين الفساد جردوا سيف الخداع
واشغلوا كل فؤاد عن هدى الله المطاع

* * *

واغلقوا باب النعيم وافتحوا باب الجحيم
وأذيعوا فى البلاد كل تضليل يذاع

* * *

واشعلوا نار العداء لهداة الأنبياء
واملأوا قلب العباد لهم شر نزاع

الفصل الثانى

[الكعبة المطهرة وقد نصبت عليها الأصنام وبينها صنم كبير جداً هو هبل ، وقد وقف رجل فى زى عربى متوسط السن ووقف إلى جانبه شيطان حسن الهيئة ، وقد وضع الشيطان فمه على أذن الرجل . والرجل متغافل عنه لانه يفكر فى أمر خطير ثم يتمشى الرجل ذهاباً وإياباً والشيطان ملازم له لا يرفع فمه عن أذنه . . . . .]

الرجل : نعم. نعم . لابد من ذلك .

[يمشى] هذا حسن لاشك فيه .

[يمشى] وأين كنت بالأمس . . ؟

[يمشى] ومالى لم أقتل هذا الرجل . . ؟

إنها لخائنة ماكرة ، ولكن ربما كان لها بعض العذر فسأعاتبها .

[يمشى] لابد من تنفيذ هذه الخطة !

[الشيطان يبتعد عنه قليلا]

الشيطان : لله درك ، لقد أحسنت الأستماع [ثم يخرج مسرعاً]

الرجل : [يقف فجأة وقد ظهرت عليه آثار الغضب]

خانتنى تلك الفاجرة بالأمس ، وستأتى الآن فتزعم أنها لى حبيبة صادقة ، فلابد من قتلها .

نعم لابد من قتلها ، ولابد من أن أقدم دمها الدنس ونفسها الخبيثة قربانا لهبل .

أين تلك العهود والمواثيق التى قدمتها إلى وزعمت أنها لا تخونها يوما ما . . ؟

أمن أجل أعرابى حقير يسكن الوبر ويشرب دماء الإبل وأبوالها ويأكل الحشرات والخنافس تنصرف عنى . . ؟ لابد من قتلها ومن قتله .

نعم إنى سأدنس هذا المكان الحرام بذلك الدم الخبيث ، وسأقترف إثماً لم أسبق إليه ، فقد عصمت الآلهة نفوس الناس وحقنت دماءهم فى هذا البلد

إكراماً لهذه الكعبة المقدسة ، ولكنى سأخالف أمر الآلهة . سأقتل نفساً معصومة ، وأهدر دماً حراماً فى الكعبة نفسها وأمام الآلهة العظام .

أقبلى أيتها الخائنة الماكرة .

أقبلى فإن سيفى أظمأ ما يكون إلى دمك وإن كان قلبى أظمأ ما يكون إلى ريقك العذب .

أقبلى فسيعانقك الموت الآن ، وإنى لأحسده على هـــذا العناق ، وأود لو سبقته إليك .

أقبلى فستكونين جثة هامدة ، وسيشهد الآلهة عذابك الأليم ، وسيصبون على رأسك بعد الموت عذاباً أشد وسخطاً أقبح .

تريدين كيما تجمعينى وخالداً ☆ وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

[ثم يبكى] آه ويح هذه النفس البائسة إنها لتحدثنى بالفتك والانتقام وإنها لتحذرنى من عاقبتهما ، فماذا أصنع . . ؟

ألا إنى إن قتلتها فقد قضيت على نفسى بالشقاء الدائم ، وإن أبقيتها فقد خضعت للعار وسوء المقال .

[هنا ترى فتاة عربية وقد أقبلت تخطر ، ومرت فلم تلتفت إلى الرجل حتى انتهت إلى أكبر الآلهة ، فتقبله ، وترفع يديها ضارعة داعية ، ثم تعود إلى الرجل .]

المرأة : عم صباحا أيها الحبيب ،

الرجل : عمى صباحا أيتها الحبيبة ، أظنك تأخرت .

المرأة : لم أتأخر إلا قليلا ، ولقد تعرف سبب ذلك :

الرجل [بفتور] : لا أعرفه

المرأة [ضاحكة] : كيف لا تعرف أن على إرصاداً وعيوناً يتربصون بى الدوائر ويتوقعون لى الفضيحة ، وإنى أجد فى سبيل لقائك من العناء والمشقة ما لا يقوى أمثالى على احتماله

الرجل [ضاحكا] : إن كان هذا حقاً فقد أعذرت ، ولكن ..

المرأة : إنك ستقص على حديثاً ربما كنت به عالمة ، فأرح نفسك منه ، ولا تحوجنى

إلى الدفاع عن نفسى ، فانى لا أعرف حباً كحبك تعبث به الشكوك والأوهام من حين إلى حين .

الرجل : أكذب ذلك الحديث ؟

المرأة : من غير شك .

الرجل : ومن أين علمت إذا لم يكن حقاً . . ؟

المرأة . إنى لا أقول إنه كذب من جميع الوجوه ، بل أقول : إنك مخطىء فيما استنتجته منه فقد كنت بالأمس مع خالد عند الصفا ، وقد تناجينا طويلا ، ولكن من أين لك أن هذه النجوى كانت غرامية ؟

الرجل : وما شأن خالد معك إذا لم يكن هناك غرام . . ؟

المرأة [مبتسمة] : شأنه معى معروف ، فإنه ابن عمى ، وهو يتعشق أختى بثنية ، وبينه وبين أبى وأخى ملاحاة ومجافاة شديدة ، ولا يجسر أحد منا أن يكلمه ولا يرق له أحد غيرى ، فأنا أرحمه وأعطف عليه .

وقد كنت بالأمس أنصح له أن يخرج من مكة سنة كاملة وإلا يظهر أمره فى شعره ، حتى لا يتحدث الناس بما بينه وبين أختى ، وقد ضمنت له إن فعل ذلك أن يعود فيقترن بها .

الرجل : قد يكون هذا حقاً ، وان خالداً لسىء الحال ، ولكن ألست أولى منه بهذه الرحمة ؟

ألم تعلمى أنى لم أذق الكرى فى ليلتى هذه ،

ألم يكن من اليسير أن تهبينى بعض تلك الساعة كالتى وهبتها خالدا ؟

المرأة : لا . لم يكن ذلك من اليسير ، فأنت تعلم انى لو استطعت أن أنفق معك جميع أوقاتى لفعلت ، وما كدت أفرغ من حديث خالد حتى علمت أن ميعاد شوراكم قد انتهى وأن كلا منكم سيرجع الى بيته وفيكم أبى ، فلم يكن لى بد من العودة وقد عرفت أن هذه الشكوك ستخامر قلبك ، فلم أستطع أن أتأخر عنك اليوم ، وأردت أن نجدد عهد الحب والولاء بين يدى الآلهة العظام فهيا بنا . .

[تأخذ بيده فيسير معها ثملا يتمايل نشوة وطرباً ، ثم يسجد لهبل ، وتقف هى فتقبل هبل وتتضرع إليه ، ثم يقوم الرجل من سجدته فيصافحها . .]

الرجل : ليشهد هبل ولتشهد اللات والعزى أنى مخلص لك وصادق فى حبك

المرأة : ليشهد هبل ولتشهد اللات والعزى أننى مخلصة لك وصادقة فى حبك .

[ثم يطوفان بالكعبة ويتضرعان]

المرأة : إذاً فدعنى أرجع الآن أيها الحبيب ، فإن القوم سيتوافدون على الكعبة للعبادة وموعدك العشية فى الصفا .

الرجل : ليكن موعدنا العشية هنا .

المرأة : ليكن ما تريد [ثم تخرج] .

الرجل : [وحده] .

وددت وما تغنى الودادة أننى
بما فى ضمير الحاجبية عالم
فإن كان خيراً سرنى وعلمته
وإن كان شراً لم تلمنى اللوائم
وما ذكرتك النفس إلا تفرقت
فريقين منها عاذر لى ولائم
فريق أبى أن يقبل الضيم عنوة
وآخر منها قابل الضيم راغم

الآن استراحت نفسى ، واطمأن ، قلبى وعرفت أنها بريئة ، وأننى كنت مخطئا فى اتهامها وإنى أحمد الله على أن يدى لم تسبقنى إلى السيف .

[وهنا يتوافد القوم للعبادة وكل من دخل منهم يحييه]

القوم : عم صباحا .

الرجل : عموا صباحاً أيها السادة .

[يتقدم الجميع إلى الآلهة فيسجدون سجدة طويلة يقبل الشياطين ، فى أثنائها ويتخذون ناحية ، ثم يقوم إبليس فيسعى مختفيا حتى يقف خلف هبل . يرفع القوم رءوسهم من السجود ، وإذا بهبل يتحرك ويخرج من فمه دخان ، ويسمع منه صوت قبيح ولكنه غير فصيح . ثم يتبين الصوت قليلا . . . قليلا . . .]

هبـــل : أى عبادى المخلصين ،
يا معشر قريش وصميم العرب ،
ويا سكان البطحاء وولاة الكعبة ،
وقادة الشعوب ومطوفى الحجيج ،
وسادة الدين ورءوس القبائل وأصحاب السقاية والعمارة .(١)

---

(١) [بيوتات قريش] : هاشم وامية ونوفل وعبد الدار وأسد وتيم ومخزوم وعدى وجمح وسهم. وأما الامور التى كانت من خصائص هؤلاء فهى: السقاية والعمارة والعقاب والرفادة والحجابة والسدانة والندوة والمشورة والاشناق والقبة والاعنة والسفارة والايسار والاموال المحجرة .

فأما السقاية أى سقاية الحجاج فكانت فى بنى هاشم وأما العمارة وهى منع من يتكلم فى بيت الله بكلام سفيه قبيح أو يرفع فيه صوته وكانت فى بنى هاشم الذين منهم العباس وأما العقاب فهى راية قريش يحفظونها فى بيت من البيوت العشرة فاذا وقعت حرب أخرجوها فأن اتفقوا على أحد منهم أعطوه رأيه العقاب وكانت من خصائص بنى أمية الذين منهم أبو سفيان وأما الرفادة وكانوا يجمعون من أنفسهم أموالا لرفد المنقطعين من الحجاج وكانت فى بنى نوفل الذين منهم الحارث بن عامر صاحبها وأما السدانة والحجابة فمعناها خدمة بيت الله وحفظ مفتاحه وكانت فى بنى عبد الدار الذين منهم عثمان بن طلحة صاحبها وأما الندوة (دار الندوة) فكانت فى بنى عبد الدار وأما المشورة وهى رئاسة الشورى فهى فى بنى أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمعة بن الاسود وكان من شأنهم فى هذه الوظيفة أن رؤساء قريش كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على صاحب هذه الوظيفة وأما الاشناق فهى الديات والمغارم فهى من خصائص بنى تيم الذين منهم أبو بكر الصديق فكان أبو بكر إذا نهض مع أحد صدقة قريش وأعانوا من نهض معه وأن نهض غيره خذلوه وأما القبة فكانوا يعمدون اليها وقت الحرب فقط وكانوا يضربون قبة فيجمعون اليها ما يجهزون به الجيش وكانت من خصائص بنى مخزوم الذين منهم خالد بن الوليد صاحبها . وأما اللأعنة وهى رآسة الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومى أيضاً وخالد . وأما السفارة فيحتاجون اليها فى الحروب فى أوائلها أو بعد شبوب نارها اذا نافرهم حى للمفاخرة وكانت فى بنى عدى الذين منهم عمر بن الخطاب صاحبها وناهيك به إذا كان سفيراً لقوم . أما الايسار فهى الازلام والقداح كانوا يضربون بها إذا أرادوا أمراً وكان هذا من خرفاتهم وكانت فى بنى جمح الذين منهم صفوان بن أمية صاحبها . وأما الاموال المحجرة فهى الاموال التى سموها لآلهتهم وكانت من خصائص بنى سهم الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها .

القـــوم : (بصوت مضطرب) لبيك ربنا لبيك .

[ثم يسجدون ويرفعون رءوسهم من السجود ، فيشتد اضطراب هبـــل ويكثر الدخان الخارج من فيه ويأخذ صوته فى الارتفاع . . .]

هبـــل : يا معشر العرب قد سمعتم لى وأطعتم .

وقد تقدمت إلى إله السماء أن ينظر اليكم نظرة العاطف المشفق ، وأن يتولاكم برحمته ومغفرته ، فأجابنى إلى ذلك ، ورفع درجاتكم فى جنته ورضوانه .

القـــوم : [جميعاً] شكراً لك ربنا شكراً لك .

[ثم يسجدون سجدة طويلة]

هبـــل : وقد أحسنتم البلاء فى تجديد الكعبة وبنائها .

ولكن احذروا كل الحذر من سفيهكم الذى سيضلل أحلامكم ، وسيسفه آراءكم ، ويعيب آلهتكم .

[هنا تعلو أصوات الأصنام ويأخذ القوم فى الذهول]

هبـــل : نعم وحق الآلهة وعزتها وجلالها ، ووما قدمتم الينا من قربان ونحرتم على أنصابكم من هدى ، وأفضتم من عرفات ، وسعيتم بين الجبلين ليخرجن منكم رجل ينهاكم عن دين آبائكم ، ويدعوكم إلى دين جديد هو الشر كل الشر تذهب به زعامتكم ، ويضيع به شرفكم ، وينهدم له مجدكم ، فالحذر ، الحذر عذبوه وعاقبوه وشردوا أصحابه كل مشرد .

وحق الآلهة لا يميان رجل منكم الا ألحقت به عذابى وسخطى ، نعم أن جهنم تنتظر من يحيد منكم عن سبيلنا وإنى لاعلم أن فيكم ضالين سيسمعون لهذا الرجل ويطيعون .

فإياكم والإشفاق عليهم لا تراعوا لهم عهداً ، ولا عصبية وها نحن لكم ، بالمرصاد .

اغدوا على قرابينكم .

[ثم تسكن الأصنام وينقطع الصوت والدخان . فيقوم القوم وهم ذاهلون مضطربون . . . .]

أبو لهب : هل سمعتم يا معشر قريش حديث الآلهة ، ومن هو هذا الرجل؟ ألا تدلونى عليه لأريحكم منه وأقدمه قربانا إلى الآلهة . . ؟

أبو سفيان : والله ما لنا به من علم ، ولو عرفناه لقتلناه ، فلن نرضى لأنفسنا أن تعاب آلهتنا .

أبو لهب : نعم وموعدكم غداً فى دار الندوة .

[يطوفون بالكعبة ، ويتضرعون إلى الآلهة ، ثم يخرجون ، وبعدها يجتمع الشياطين إلى رئيسهم وهم يتشاورون]

إبليس : أرأيتم يا أبنائى الأعزاء إلى هذه الحيلة التى ملكنا بها قلوب القوم ؟ ودفعناهم باسم الدين إلى أن يخرجوا على ربهم ويردوا بأيديهم حظهم من السعادة الدائمة والحياة الباقية .

الشيطان : [ذو الأنياب] قد رأينا أيها الرئيس حيلتك ، وأظنها ناجحة ، ولكنك تعلم أن قوة الله أشد من قوتنا ، وأنا نحتاج إلى كثير من أمثال هذه الحيلة حتى نتمكن من الوصول إلى غايتنا فنقضى على هذا النبى قبل أن ينتشر دينه ، فإنى أرى أن دين الله سمح إذا انتقل من قلب إلى قلب اندفع فلم نستطع أن نرده أو نوقف تياره إلا بعد جهد جهيد .

وقد علمنا وعلمت أن الله متم دينه على كره منا .

إبليس : يعجبنى منك نظرك فى العواقب وحبك للاحتياط ، ولكن لا يصير بك هذا إلى الجبن والفرق فان الانسان ضعيف ، ونحن مسلطون عليه ، ومهما

قوى الدين واشتد أزره فلا بد من أن نجد لنا أعوانا ينصروننا ويخضعون لنا

فلنشمر عن ساعد الجد ولنبذل قوتنا وحولنا لمحاربة هـــذا النبي وللمحافظة على ما فى هذا البلد من الضلال ، فان الخطر كل الخطر والشر كل الشر فى أن يدخل الهدى قلوب قريش ، لأن العرب جميعاً لهم تابعون وعلى أثرهم سائرون .

لنحتفظ بهذه التماثيل المنصوبة ، والأوثان المرفوعة ، ولنصدم بها هذا النبي الجديد ، ولنأته من طريق لا يجد عنها مندوحة .

فنعترف بوجود إله فى السماء ، وبأن هذه الآلهة وسطاء بينهم وبين الناس .

[هنا يدخل شيطان بشع الصورة ، مغبر الوجه ، وهو يلطم خديه ، وقد شق ثيابه ونهق نهيق الحمر]

إبليس : ويك ، ما خطبك ، وما هذه الحال التى أنت بها . . ؟

الشيطان : [بصوت حزين] دهمتنا النازلة لا أجد واصابتنا الكارثة التى لها مرداً وقد بعث محمد .

إبليس : [يقهقه] بعث محمد وأى شيء فى ذلك . . . ؟

الشيطان : إنك يامولاى لتستهزىء بهذه البعثة ، وانى لا جد لها خطراً كبيراً على ملكنا وسطوتنا .

إبليس : إنا لا نريد الجبن فدع عنك هذا واقصص علينا كيف كانت بعثته .

الشيطان : كان محمد رجلا أميناً محبوباً ، حسن السيرة فى قومه ، قد اشتهر بالصدق ، والأمانة

وبالعدل والفطنة ، فلم تؤخـــذ عليه كذبة ، ولم تعرف عليه خيانة ، وكلكم تعلمون أن قريشا اختلفت حين جاء وأن وضع الركن فى القبيلة التى ينبغى لها أن تضعه موضعه ، واشتد بها الخلاف فى ذلك ، وذكت نار الفتنة والموجدة وتناذر القوم الحرب ، وكادت تسفك بينهم الدماء ، ومكثوا على ذلك أياماً أربعة ، ثم اجتمعوا بالمسجد ، وتشاوروا متناصفين واقترح المغيرة بن عبد الله المخزومى اسنهم كافة أن يحكموا فيما شجر بينهم من الخـــلاف أول داخل عليهم من أبواب المسجد ، فرضى القوم ذلك ، واتفقوا عليه فكان أول قادم هو محمد وتصايح القوم .

هـــذا هو محمـــد قد سلمنا

هـــذا الصادق قد رضيناه

ثم اختصموا إليه ، فقضى بينهم قضاء ردهم إلى السلم ، إذ بسط رداءه ووضع الركن فى وسطه ، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف الرداء وترفعه ، ففعلوا ، ووضع محمد الحجر موضعه بيده ، وبنى عليه واشتركت قريش كلها فى رفع الحجر ، وتقسمت قريش كلها هـــذا الشرف العظيم قسمة عاد ، وكان هذا الحكم الذى حقن الدماء ورد السلام إلى نصابه ، وأخمد نار الحرب بعد أن كادت تشتعل مصدراً لحب الناس له وعطفهم عليه والقوم بهـــذا الحكم راضـــون فرحون . وهو كما تعلمون من عصبية قوية قد طاب اصلها وذكت فروعها وانتهت الرئاسة إليها فى قريش .

وقد تزوج كما تعلمون بامرأة لها من قومها عزة ومنعة ، سرية ، نبيلة وهى من أطهر أرومة ، وأشرف خؤولة وعمومة (١).

---

(١) تحدث ابن سعد باسناده ان نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ابن قصى امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما اراد الله بها من الكرامة والخير وهى يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصاً على زواجها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتنى دسيسا إلى محمد بعد أن رجع فى عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تزوج ؟ فقال ما بيدى ما أتزوج به قلت ان كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال فمن هى ؟ قلت خديجة قال وكيف لى بذلك ؟ قلت على وأنا أفعل . قالت فرأيته وقد تهلل وجهه واهتز بشرا ان انقلب إلى خديجة احمل لها البشرى فطربت ما شاءت أن تطرب واهتزت فى الحال وربت وبدت طفلة غضة للناظرين وارسلت إلى محمد ان أئت لساعة كذا وكذا وأرسلت إلى عمها عمرو بن اسد لتزوجها من محمد وذهب محمد إلى عمه أبى طالب يعرض عليه أمره فقال نعم ما اخترت يابنى فالنجيبة كفء النجيب وقال محمد وتزعم أنها تكفينى صداقها ولا ارضى بذلك فقال أبو طالب أما صداقها فمحمول على وأنا استوفيه منك ما شاء الله أن يعطيك فطابت نفس محمد به .

وهكذا انضم محمد إلى عش خديجة فكان قرة عينها وهى أول امرأة تزوجها فى الجاهلية قبل أن يوحى اليه وقد ادركت الاسلام والوحى رضى الله عنها وكان عامة أولاده منها . منهم القاسم وبه كان يكنى وهو أكبر أولاده ثم ابنته زينب ثم ابنة عبد الله الطاهر ولد فى الاسلام ثم ابنته أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية وزوج فاطمة من على بن أبى طالب وزوج رقية من عثمان بن عفان فماتت فزوجه أم كلثوم وزوج زينب من رجل يقال له ابو العاص بن الربيع فى الجاهلية فلما نزل الوحى ثبت أبو العاص على شركه فاستلب النبى ابنته على كره منه ثم اسلم بعد ست سنين فردها عليه ومات كل أولاده قبله إلا فاطمة عاشت بعده ستة أشهر واختلف فى عدة أزواجه وترتيب تزويجهن والمتفق عليه انهن إحدى عشرة . ستة من قريش وهن :

خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبى سفيان وام سلمة بنت أبى أمية وسودة بنت زمعة .

واربع عربيات وهن زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة وجويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق . وواحدة غير عربية من بنى اسرائيل وهى صفية بنت حيىّ من بنى النضير . هؤلاء هن أمهات المؤمنين اللائى توفى عنهن .

وأما سراريه فاربع . مارية القبطية وهى أم ولده ابراهيم وريحانة من بنى قريظة ونفيسة جارية زينب بنت جحش وقد وهبتها له والرابعة وقد اصابها فى بعض السبى لم يعرف اسمها .

فاذا جمعتم هذه الأسباب بعضها إلى بعض عرفتم أن من الصعب جداً على أية قوة فى العالم أن تقاومة ، لاسيما إذا أيد بقوة الله التى لاراد لها .

ابليس : نحن لانريد الجبن ، فلا تكثر علينا من هذا الشرح والتفصيل ، بين لنا كيف كانت بعثته ، فلم نرسلك إلا لذلك .

الشيطان : إنى لم أذكر هذا التاريخ الموجز جبناً أو فرقا وإنما أريد أن أبين حرج الموقف الذى سنقفه من هذا الرجل لنتخذ الحيطة قبل الإقدام ولنعلم اننا إذا اقتحمناه كنا قد أتينا أمراً عجباً يجب أن نفتخر به على مر الزمان وكر الأحقاب وإذا كنتم تكرهون أن تسمعوا تاريخ هذا الرجل فإنى أقص عليكم بالإيجاز والإختصار بعثته وكيف كانت .

واعلموا قبل كل شيء أنى لا أخاف على نفسى أن أومن به أو أكون من أنصاره وإن كانت آياته ظاهرة واضحة . . . . . .

كان محمد رجلا عفيفاً عن دين قومه ، ينكره سراً ، ولا يجهر بذلك ، ولم يعرف عنه أنه سجد لصنم من هذه الأصنام أو قرب إليه ولم يكن مع ذلك يجحد الإله بل كان يعتقده ويؤمن به ايماناً صحيحاً وكان يعبده عبادة حقة .

وذلك أنه كان يعتزل قومه ، ويهجر بيته مدة من الزمان فى كل عام ويخلو إلى نفسه فى غار حراء فيعبد ربه هناك .

أحد الشياطين: وكيف كان يعبد ؟

الشيطان : كان يعبد ربه فى هذا الغار عبادة صحيحة هى التى أمر الله بها فى جميع ما أنزل من الكتب والشرائع ، وهى خلاصة الأديان ونتيجتها تلك العبادة التى تعرف الانسان نفسه وتشعر قلبه بأنه سيد هذا العالم وما فيه ، وأنه لم يخلق وعبثاً يترك سدى ،

وإنما خلق ليؤدى حقاً فرض عليه ويبلغ من الكمال منزلة رفيعة بسور متين تلك العبادة التى لا تقوم لنا قائمة إلا إذا حاربناها وضربنا بيننا وبين الناس أريد بها التفكير فى خلق السموات والأرض، والتدبر فيما يشتمل عليه هذا العالم من الآيات البينات ، والآثار الناطقة بوجود إله حكيم .

هذه عبادة محمد ، فقد كان إذا خلا إلى نفسه جعل يفكر فى هذه الأشياء وكثيراً ما حاولت أن أصرفه عنها ، وأحول بينه وبينها أو أن أوسط هذه

التماثيل فى العقيدة بينه وبين ربه .

كثيراً ما حاولت ذلك فكنت أجد قوة خفية ، ولكنها شديدة جداً تصدنى عن ذلك ، حتى مضت تلك السنون الطوال التى حاولت فيها إغواءه ولما اظفر بطائل ، ويسوءنى جداً أن أعلن اليكم أنى فشلت فشلا ذريعاً فيما كلفتمونى اياه ، وأردتمونى عليه ،

ابليس : ولذلك أخذت تقدم المعاذير وتبسط الحجة لتنجو من العقاب .

الشيطان : لا . لم أبسط حجة ولم أتقدم بمعذرة وإنما قلت لكم الحق وأنا قابل حكمكم على وإن لم أكن للعقاب أهلا فإن الرئيس نفسه لو حاول ما كنت احاول من إغواء هذا النبى وإضلاله ما استطاع إليه سبيلا .

إبليس : [بصوت مزعج] اخساً . أتمم حديثك

[ثم يثب عليه الشياطين ، فيشير اليهم ابليس فيعودون إلى أماكنهم]

احد الشياطين: هذه أول مصيبة تنالنا من هذا النبى . وأى مصيبة أكبر من أن يتوب شيطان عن ديننا ويؤمن بدين الله .

الشيطان : [المتكلم] قد قلت لكم إنى .

إبليس : [مقاطعاً] إنك لا تريد أن تؤمن به .

الشيطان : نعم ولو أردت ذلك ما عدت إليكم .

إبليس : [بصوت منكر] أتمم حديثك . كيف بعث محمد ؟

الشيطان : كنت واقفاً بإزاء الغار ذات يوم ، وإذا بملك قد نزل .

إبليس : هو الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى بن عمران ، هو جبريل .

الشيطان : نعم . تمثل رجلا ، فدخل على محمد فقرب منه صحيفة مكتوبة وقال له ، اقرأ فقال له ما ، أنا بقارىء فأخذ فغطه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال له ، اقرأ فقال ما أنا بقارىء ، ثم أعاد عليه ذلك ثلاث مرات وهو يجيبه بمثل جوابه وعند ذلك نطق له بأول آية من الكتاب الذى أخشى أن يقضى علينا قضاء أخيراً ولم يفجأ محمد بلقاء الملك ولا تلقى الوحى وانما هىء لذلك شيئاً فشيئاً حتى أنكر نفسه فقد جعل قبل أن يأتيه الملك بوقت طويل يرى من آيات ربه أشياء لم يكن يراها من قبل وكان أول أمره من ذلك ان صدقته أحلام الليل صدقا لم يألفه الناس ولم يألفه هو فيما مضى من دهره فكان لا يرى

رؤيا الا صدقت كأنها فلق الصبح ثم أحس حب الخلوة فكان لا يلم بمكة إلا قليلا ثم يخرج منها فيمضى أمامه فى شعاب الجبال مستأنساً بهذه الوحشة مطمئناً الى هذه الوحدة فكان لا يمشى ألا سمع الأصوات تناجيه أحسن النجوى تحدثه عذب الحديث وتحييه أكرم التحية يسمع ذلك من الأشجار والأحجار وحصاء الأرض ويسمع ذلك من نسيم الجو حتى أنكر نفسه وحتى أقبل ذات يوم على خديجة بنت خويله زوجه مذعوراً يقول تعلمين يا خديجة انى والله ما أبغضت شيئاً كما أبغض هذه الأوثان التى تعكف عليها العرب وما كرهت شيئاً كما أكره ما الف العرب من الكهانة وانى مع ذلك لأجد أشياء أنكرها وأخشى أن يلم بى لمم أو أن أصير الى الكهانة فتقول له خديجة لا بأس عليك أنت أكرم على ربك وآثر عنده من أن يصنع بك هذا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقوى الضعيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة .

الشياطين : وما هى تلك الآية ؟

الشيطان : هى « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » (١)

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قال قلت ماذا أقرأ ما أقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لى بمثل ما صنع بى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتاباً فخرجت حتى اذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسى الى السماء انظر فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامى وما أرجع وراءى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعاً الى أهلى حتى أتت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً اليها فقالت يا أبا القاسم . أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا الى. ثم حدثتها بالذى رأيت فقالت ابشر يابن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو ان تكون نبى هذه الامة) .

[هنا يضطرب الشياطين جميعاً ، ويكاد يغمى عليهم] .

إبليس : [يصيح بأعوانه صيحة منكرة ، فيقومون وهم فى ذعر شديد يضرب بعضهم بعضاً] :

ويلكم ! أين ما تعلمتموه منى؟ أهذه هى قوتكم وبأسكم . . ؟

أهذا هو مكركم الذى ستحاربون به عدوكم ؟

أحدالشياطين: معذرة يا مولاى الرئيس ، فلم يكن لنا جلد على أن نسمع ذلك الكلام .

إبليس : إنى أخشى أن أكون قليل الثقة بما ستبذلونه من القوة لمحاربة هذا العدو .

الشياطين : كلا ، كلا .

إبليس : إذاً الكلمة الأخيرة التى أقولها لكم أن يذهب كل واحد منكم إلى دار الندوة فيأخذ مكانه بجانب رجل من قريش، حتى إذا أخذوا فى الشورى لم يتكلموا إلا بألسنتكم ، ولم يجمعوا إلاّ على رأيكم .

أما أنا فسأذهب فى زى رجل نجدى ، وستكون لمشورتى على القوم المنزلة العليا من القبول والتأثير .

[وهنا يثب الرئيس وثبة منكرة ! وكذلك أتباعه وهم ينشدون . . .]

يا جنـــود الضلال وحمـاة المحـــال
أقبـــل الهـــدى فالبســـوا للكفاح
جده لا المزاح وابسطـــوا اليـــدا

* * *

جاء داعى العبـاد لسبيـــل الرشـاد
مبطـــل الوثن فانهضوا لانقـــاء
شر هـذا البلاء وادفعـــوا الحزن

* * *

ويحكم جردوا عزمكم جددوا
وانشروا الفتن اطلبوا الانتصار
والعلا والفخار أو إلى الردى

obeikandl.com

الفصل الثالث

دار الندوة أو دار قصى بن كلاب

[منزل به قاعة كبيرة وقد اجتمع فيها الشياطين الى رئيسهم وجلسوا يتشاورون . . . .]

ابليس : كأنكم بالقوم مقبلين الى مشورتهم ، فاعلموا لم تنسوا ما أمرتكم به من أن يجلس كل واحد منكم إلى جانب رجل منهم فيوسوس له بما يتكلم به ، اعلموا أن محمداً قد اشتدت شوكته ، وقد كاد دينه ينتصر ، فإذا لم نقتله الليلة فليس لنا رجاء فى النصر بعد ذلك .

نعم طالما عارضناه وناوأناه ، ولكنه سيترك لنا الليلة هذا البلد إلى قوم قد أعطوه العهد والميثاق على أن ينصروه ويشدوا أزره ، فخذوا حذركم ، أما أنا فسأتركم الآن لأحكم الرأى الذى دبرته .

(يخرج)

أحد الشياطين: أرى القوم مقبلين ليأخذ كل منكم مكانه

[وهنا يدخل القوم أفواجاً ، ثم يدخل أبو لهب يلهث وهو يقول]

إنى لعبد العزى . بها بلغت العزا . اعباء جنبى عزا . انى لعبد العزى .

ابو سفيان : مرحباً بعبد العزى

ابو لهب : يا معشر قريش ، قد علمتم لم اجتمعنا

القوم : نعم

أبو لهب : فإن محمداً قد بالغ فى الدعوة إلى دينه ، وقد علمتم صدق الآلهة فيما أنبأتكم ولعلكم لا تنسون أن هبل أقسم ليخرجن منا رجل يسفه أحلامنا ويكذب ديننا ودين آبائنا ، وأوعد من أطاعه بالجحيم وضمن لمن عصاه النعيم ، وقد خرج هذا الرجل من خيركم حسباً ونسباً ومن أشدكم قوة وعصبية ومن أنفذكم كلمة وأصدقكم رأياً ومن بنى هاشم ، وقد قام يخبرنا بأمر وقع له يشبه ما نسمعه عن أمر موسى نبى بنى اسرائيل فلئلا تزداد شقة الخلاف والبغض بيننا وبين بنى هاشم أوفدنا أبا الوليد فلقى محمداً وقال له : يا ابن أخى انك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جمعهم وسفهت بواسطته أحلامهم وعبثت بآلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع منى أموراً لعلك تقبل منها بعضاً : إن أردت بالذى فعلت مالا جمعناه لك أو شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك وان كان يأتيك رأى تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . قال : ما بى ما تقولون ما جئت بما جئت لاطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن بعثنى الله اليكم رسولا وأنزل علىّ كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا و لآخرة وإن تردوه فعلىّ الصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم ولا تنسوا يوم ذهبنا بجمعنا إلى أبى طالب قد بسط وحمايته على محمد

[وهنا يدخل ابليس فى صورة شيخ وقور]

ابو سفيان : ممن الشيخ ؟

ابليس : رجل من نجد سمع بيوم الرحمة وبما اتخذتم له فجاء ليحضر مجلسكم عساه أن ينفعكم رأيه ونصحه .

ابو سفيان : أجل مرحباً بك أيها الشيخ الوقور .

ابو سفيان : فلنغلق الباب علينا لئلا يتسرب الخبر منا أرى أن يحرس الباب شيبة وعتبة

أبو لهب : نعم ولو كان هذا الرجل غير محمد لهانت البلية ،ولكنه هو محمد ذلك الصادق الأمين الذى كنا نجله ونذعن له ، فلعمرى ما أدرى كيف زعم أنه مرسل من عند الله ؟

ظهر محمد وكتم دعوته إلى دينه ثلاثة أعوام تبعه فيها خلق كثير من الأقوياء والمستضعفين ، ثم زعم ،أن ربه قد أذن له باعلان الدعوة، فانذر عشيرته الأقربين ،وكنت منهم ،فلم أزل بهم حتى صرفتهم عنه،ونفرتهم منه وقد كان من حماية عمه له ما تذكرون .

كل ذلك بغض اليكم وأنا معكم أيضاً بنى هاشم ،فتعاهدنا على مقاطعتهم ومنابذتهم فلم يكن بيننا وبينهم علائق ولا معاملات حتى سئمنا ذلك وسئموه وحتى مات أبو طالب فاستبحنا لأنفسنا إيذاء محمد والانتقام منه،فألحقنا به وبأصحابه كثيراً من الضر، حتى هاجر منهم إلى بلاد الحبشة خلق كثير،ومما يؤسف له أن اقوانا عضدا وأشدنا بأساً وأربطنا جأشاً ـ أى عمر بن الخطاب ـ قد آمن بهذا الرجل .

كل ذلك قد كان ولم يلق محمد وأصحابه منا إلا نكراً ،فحمله ذلك على أن يعرض نفسه على قبائل العرب فى الموسم يبتغى منهم النصر والمعونة،فكنت أصدهم عنه حتى لا يفلح وقد ترك مكة وذهب إلى ثقيف بالطائف يستنصرهم فخذلوه وآذوه إيذاءاً شديداً .

ولقد كانت هذه الخطة التى اتبعناها معه بارشاد الآلهة كفيلة باسقاطه واحباط سعيه ، لولا أنه التجأ إلى الأوس والخزرج من أهل يثرب سراً منذ سلتين فقبلوا دعوته وبايعوه على أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم وأموالهم فخذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب

وقد أنبأتنا الآلهة بأنه ظاعن الليلة عن هذا البلد إلى يثرب (١) فواللات والعزّى لئن مكّنتموه من ذلك ليكونن عليكم حرباً وليصرفن عنكم وجوه العرب ووفود الحجيج وليضرمن عليكم ناراً لا قبل لكم بها .

يا معشر قريش واللات والعزى إن هذه الليلة المقبلة لهى الفاصلة بينكم وبين محمد فإما أن يفوز فوزاً عظيما وإما أن يموت بسيوفكم فتنالوا عزّ الدهر

يا معشر قريش ، تالله ما رضى أحد بما رضيتم به من تسفيه أحلامهم وسب آبائهم وتكذيب دينهم والزراية على آلهتهم ثم يسكتون على ذلك إلا كانوا جبناء أذلاء !!

يا معشر قريش كأنى بالآلهة ينظرون اليكم نظرة المستنصر المتوعد فإن نصرتموه فالسعادة الدائمة وإن خذلتموه فالخذلان المبين .

يا معشر قريش إن يفتكم محمد الليلة فقد التجأ إلى قوم أولى قوة وأولى بأس شديد ، لهم من خصب أرضهم وكثرة عددهم حول عليكم وطول وهم أهل الحلقة ورثوها كابراً عن كابر ، وقد بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، فانظروا ماذا تصنعون ؟

(يجلس)

ابو سفيان : لعمرى لقد قلت فأجدت ، ونصحت فصدقت ، واننا لأحوج ما نكون الى أن نسمع لقولك ونصغى إلى رأيك فأشر علينا

---

(١) يثرب سواء اكانت اسم مدينة او اسم رجل مشتقة من الكلمة المصرية القديمة (اتريبس) وقال السمهودى فى خلاصة الوفا ان اثرب لغة فى يثرب ولعل اثرب هى القراءة الصحيحة لاسم المدينة منذ القدم . ولما هاجر عليه الصلاة والسلام اليها كره ان تسمى باسمها هذا لان اصل التثريب الافساد وسماها طيبة وطابة وفى ذلك يقول ابن عباس من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً انما هى طيبة وكانت هذه سنة رسول الله فلم يكن يبقى على اسماء الصحابة اذا كان فيها ما يبغضه لشؤم طالعه وانما كان يبدلها بأسماء اخرى ميمونة الطالع وهو من اجل ذلك سمى حزنا : سهلا . وسمى أجدع : عبد الرحمن وسمى صخرا . عبدالله . ويبـــدو ان طيبة كانت معروفة قبل الاسلام فقد ذكرها كعب الاحبار فيما عده من اسماء المدينة التى وجدها فى التوراة .

ابو لهب : لا رأى عندى إلا أن يقتل

احدالجالسين: ولكن ماذا نصنع مع بنى هاشم وقد قاطعناهم ودامت هذه المقاطعة ثلاث سنين كانت محنة قاسيةعلى محمد وأوليائه . وكانت سبباً فى قيام زهير بن امية مهيباً بأهل مكة صارخاً : أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة . ويتقدم المطعم بن عدي يومئذ والسيف يلمع فى يمينه فيشقها بين أصوات التهليل والتكبير .

ابو لهب : تلك هى التى نبحث عنها

ابو سفيان : نعم ان بنى هاشم ذووا عصبية،وأولوا قوة وبأس، وخلفهم من العرب نصير ولهم منا رحم وقرابة، والحرب ممكنة ، ولكنها مهلكة، فانظروا واحصفوا الرأى ثم اشيروا

امية : احبسوه فى الحديد واغلقوا عليهبابا ثم تربصوا بهما اصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله حتى يصيبه ما أصابهم

ابو لهب . كالنابغة وزهير ومن مضى منهم

ابليس : (متنكراً) لعمرى ما صنعت شيئاً ولئن فعلتم ذلك لينفذنامره إلى أصحابه فيضرمون عليكم ناراً محرقة ، وليخرجن امره من وراء الباب الذى اغلقتم دونه إلى أصحابه والله ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره

آخر : نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ،

ابليـــس : لا والله ما وفقت ، فلو خرج لاشتد عليكم اذاه ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال .ولم تخرجوه وهو يريد أن يخرج من نفسه ؟ دبروا فيه رأياً غير هذا .

أميـــة : كأنما كان أبو طالب يتنبأ لابن أخيه حين قال . وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن (١) .

ابايـــس : ولعمرى يامعشر قريش لقد جئتكم برأى هو الخير كله .

القوم : هات.

ابايـــس : يجتمع من كل قبيلة من قبائل قريش شاب جليد نسيب وسيط فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يجلسون بباب محمد حتى إذا خرج وثبوا

---

(١) خطبة عبد المطلب زعيم قريش وقد التف حول سريره وهو مريض سادة قريش وقادتها « يامعشر قريش ، أنتم صفـــوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع ، اعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا احرزتموه ولا شرفاً لا ادركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حزب ، وعلى حربكم الب ، وانى أوصيكم بتعظيم هذه الكعبة فان فيها مرضاة للرب ، وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منساة فى الاجل وسعة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم . أجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والمماة . عليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وانى أوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى انظر إلى صعاليك العرب وأهل البرق الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذناباً ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا وإذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه ، اخطأهم عنده قد محضته العرب ودادها وأضفت له فؤادها واعطته قيادها . دونكم يا معشر قريش ابن ابيـــكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الارشد ولا يأخذ احد بهديه الاسعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى » .

عليه فضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد ، فيقتل ولا تستطيع بنو هاشم أن تطلب دمه من قبيلة بعينها كما أنها لا تستطيع أن تعادى قريشا أجمع فيضيع دمه بيننا هدراً .

ابو سفيان : لا عدمنا رأيك أيها النجدى والقول ما قال الرجل . هـــذا الرأى لا رأى غيره .

ابـو لهب : [ضاحكا] ولعمرى إن هذا لمن توفيق الآلهة ، فماذا ترون يامعشر قريش ؟

القـــوم : [جميعاً] هذا حق ، هذا حسن .

أبـو لهب : إذاً فلننصرف الآن ، ولتبعث كل قبيلة رسولها إلى باب محمد مساء اليوم

[يهم ابليس بالخروج]

ابو سفيـان : إلى أين أيها النجدى

ابليس : إلى الأبالسة بوادى عبقر ! !

ابوسفيان : يالك من عبقرى

[يخرجون ويدخل الشياطين] .

ابليـــس : إلى هنا يظهر اننا قد فزنا

الشيطـان [ذو الأنياب]: لم نفز إلا فى تسيير قريش إلى ما نريد ولـكن من لنا بمصادمة الأسباب الطبيعية والفوز على الله نفسه فإنه قـد وعد نبيه بالنصر ، وأكد له الفوز ، وإنى لأخشى أن تـكون هـذه الحركات التى نأنيها أشبه بحركات المذبوح قبل الموت . ،

ابليـــس : [صارخاً] أف لك من يائس جبان

أحدالشياطين: وقد وعد الله نبيه موسى وغـيره من الأنبياء بالنصر ولـكننا مع ذلك قد انتصرنا عليهم .

ابليـــس : [ينظر] أرى فتاة مقبلة ، فمن جاءت . . . ؟

شيطـان [العشق] : هذه يامولاى الرئيس فتاة عاشقة جاءت تنتظر حبيبها .

ابليـــس : لا شأن لنا هنا ، فلنخرج الآن

شيطـان [العشق] : كلا يامولاى ، ان لى شأناً كبيراً ، فكيف أترك هذين العاشقين بدون أن أغريهما . إن شئتم أن تخرجوا فافعلوا ودعونى وإن شئتم أن تبقوا فتنظروا ما يجرى بينهما فافعلوا ،

أحد الشياطين: ان لدى أعمالا كثيرة وقد تركت قبيلتين من قبائل العرب على مقربة من الحرب ، فلابد من أن أرجع لأعلن الحرب إعلاناً نهائياً .

آخـــر : ولدى أيضاً أعمال كثيرة ، فقد تركت جماعة من أهل نجد يتأهبون للنهب والسلب ، ولا بد من أن أهديهم سواء السبيل .

آخـــر : ولدى أيضاً أعمال كثيرة ، فقد تركت مدائن الفرس فى خلاف شديد ، وهم عازمون على قتل الملك ، فلابد من أن اتمم عملى .

آخـــر : ولدى فى مصر أعمال أخرى فقد تركت الخلاف شديداً بين البطريرك والحاكم الرومى وقد هم الحاكم بقتله وأخاف أن يهرب البطريرك فيجب أن ادركه .

ابليـــس : إذاً فليذهب كل منكم إلى عمله ولا تنسوا أن تجتمعوا هنا فى المساء لتشهدوا قتل محمد .

أما أنا فسأبقى فى هذا البلد لاحرض الناس وأوغر صدورهم حتى لا يكون منهم فتور ولا قصور .

[يخرجون ويبقى شيطان العشق مختفياً . وهنا تدخل الفتاة . . .]

الفتـــاة : [وهى فى ذهول] ويحى قد كنت أسمع أصواتاً خفية ، وأنا الآن أرى خيالات مزعجة وإنى لأحس بنذير السوء يتقدم الى ، وقد أبطأ علىَّ حبيبى فليت شعري ماذا حدث ؟ .

فقد التقينا فى الصفا ، وكان ميعادنا ان ينتظرنى هنا بعد فراغه من المشورة فأين ذهب . . وما باله لم يأت ؟؟

إنى لأخشى عليه العاديات ، فان القوم به يأتمرون ، وقد كنت أرى على وجهه بالأمس آثار التردد والاضطراب .

الشيطان [هامسا] : صدقت ، فإنه لم يأت للمشورة اليوم ، ولقد شغلت عنه ولا أدرى أين هو ؟

الفتـــاة : [منتحبة] إذاً فخير لى أن أنصرف لأبحث عنه ، ولا تعرف شؤونه ، فلعل قارعة قد اصابته ، ويلاه ، انى لمشفقة عليه من أشياء كثيرة أقلها سخط أبى فيجب أن أخرج الآن لعلى أعرف من أمره شيئاً .

[تهم بالخروج ، وهنا يدخل العاشق رزيناً تبدو على وجهه ابتسامة جميلة] .

الفتى : مكانك أيتها الحبيبة لا تخرجى فهأنذا قد جئت وأعتذر اليك من التأخير

الفتاة : (مبتهجة) لعمرى لقد روعتنى كثيراً .

[ثم تريد مصافحته فيكف يده] ما بالك لا تصافحنى وهل هناك ثالث ؟

الفتى : لا .

الفتاة : إذاً فمالك ؟

الفتى : لست أدرى ماذا أقول لك ولكن . . . (يبكى) .

الفتاة : [بسكون] إنه يبكى ، ليت شعرى ما الذى جرى ، انبئنى بحق عليك لماذا تنتحب ؟؟ ولماذا تنفر من مصافحتى ، ولماذا جئت إذا . . ؟

الفتى : انتحب لأن الفراق قد حان حينه وآبى مصافحتك لأنها على حرام ، وجئت لأودعك الوداع الأخير .

الفتاة [مرتجفة] : ماذا أسمع من الألغاز . . ؟

تبـــكى لقرب الفراق،وتأبى مصافحتى لأنها حرام عليك ، وجئت لتودعنى فماذا حدث ؟ تبئنى فقد ازعجتنى .

الشيطان [هامساً]: إن صدق رأيى فقدحدث لهذا الفتى حادث جلل لم يخطرلى على بال

الفتى [يلتفت يميناً وشمالا] : لا ، ليس هنا أحد ، أتريدين أن تعلمي الحقيقة ؟

الفتاة : من غير شك .

الفتى [بهدوء]: إنى قد تبعت محمداً ،

الفتاة [صارخة] : ويلاه ياللداهية ويا للمصيبة .

الفتى : تثبتى فإنى لم أتمم حديثى ،

الفتاة : لعمرى لقد صدعت قلبي بهذا الحديث ، وقد وقفتنى موقف الحائرة الذاهلة فلا أدرى ماذا أصنع ، ولا أعرف كيف أقول..؟

الفتى : إن الطريق واضحـــة ، والأمر ظاهر ظهـــور الشمس،فإنك تحبيننى وأنا أحبك، وقد استجبت لدعوة محمد :

الفتاة [مقاطعة] : لا تسمعنى هذا الاسم ،

الفتى : إذا فأذنى لى بالانصراف .

[يهم بالخروج]

الفتاة : قف أكمل حديثك . ثم ماذا ؟

الفتى : ثم أريد أن أهاجر إلى المدينة مستخفيا فإن كنت على عهدك فهلمى اتبعى هذا النبى الكريم واخرجى معى .

الشيطان [هامساً]: يا للداهية .

الفتاة [بحماسة]: تلك التى تصطك منها المسامع . أجننت ؟ .
كيف أترك دين أبى وأخرج مستخفية من بلدى فيتحدث العرب أن ابنة فلان هربت وجلبت على أبيها عاراً لا يمحي .

الفتى : إذاً فالوداع ، وإنى لأرجو أن يهدى الله قلبك ، فنجتمع مسلمين كما اجتمعنا مشركين .

الفتاة [بحماسة] : مكانك فإنك لا تستطيع أن تخرج وقد استحال حبك فى قلبى إلى بغض ، ولا بد من أن أدل القوم عليك فيقتلوك قبل أن تخرج من مكة .

الفتى : [مبتسما] لعمر أبيك ما صدقت ولا بررت فى حديثك فإن حبك لى أثبت من أن ينقلب إلى بغض فى لحظة واحـــدة وإنه إذا كان كذلك فحق على أن لا أمكنك من الخـــروج ، ولست لأبى أن لم أروّ سيفى هـذا من دمك ،

الشيطان : [مبتسما] إن فاتنى إغواؤهما على الفجور فلم يفتنى سفك دم أحدهما ولا بد من أن شيطان القتل سيشكر لى هذا الصنيع .

الفتاة [بصوت هادئ] : هون عليك أيها الحبيب فقد كانت بينى وبينك نزوة أظنها شيطانية .

فما بالنا قد لجأنا إلى السيف ونحن نستطيع أن نجعل الحب حكما بيننا؟

الفتى : أنت التى قد ألجأتنى إلى ذلك ، ولست أريد أن أطيل الحديث فهلمى أسمعينى كلمتك الأخيرة . أمسلمة أنت ؟

الفتاة : لا

الفتى : إذاً فلا موقف لى معك .

الفتاة : انى أقسم عليك أن تصطنع الأناة لعلنا نتفق . إنه قد كانت بينى وبينك مودة قديمة منذ سنين ، وقد أوشكنا أن نجنى ثمرتها ، ولم تكن العواطف الدينية تستطيع أن تحكم بيننا وإنما كنا نكتفى بعواطف الحب والغرام فلماذا أصغيت إلى تلك العواطف واستجبت لمحمد ، أليس من الممكن أيها الحبيب أن نعتزل الفريقين ونعيش وحدنا لادين لنا إلا الحب . . . ؟

الفتى : مستحيل سبق السيف العذل واعلمى أن هـــذا الامر لا يحتمل مناقشة ولا جدالا عزيز، علىّ جداً أن أحدثك بهـذه اللهجة ، ولـكن معذرة اليك فإنى مغلوب على أمرى ،

الفتاة : إنى لا أستطيع أن أصادر عاطفة كهذه تخيّـل إلىّ أنها شديدة، ولـكـنى أرى رأياً ربما كان فيه الخير كل الخير .

الفتى : هات ..!!

الفتاة : ابق على دينك ، ولـكن تـكتمه وابق معى وأنا أؤكد لك أنى أتبعك .

الفتى : لا يمكن ، إن الهجرة أصبحت أمراً مقضياً .

الفتاة : لعمرى لقد قلبت وجوه الحيلة فلم أفلح ، وانى لبين نارين .

فإما فراق وإما جلب العار على أبى ،

كلاهما صعب لا يحتمل ، فأشر علىّ ..؟

الفتى : لا أرى لك إلا اتباعى ،

الفتاة [منتحبة] : ويلاه ،ماذا أصنع ؟ (تفكر ـ كيف السبيل إلى هذا الدين ؟

الفتى : هما كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان .

الفتاة : وما هما ؟

الفتى : أن تقولى لا إله إلا الله، محمد رسول الله .

الفتاة : أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً إن أمرك لعجب .

أتريد أن أسلخ اللات والعزى من عنق إن هذا لشىء عجاب [تفكّـر]

أرأيتك إن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله أيتم زواجنا ؟

الفتى : الامر يومئذ لله ،يضعه حيث يشاء ،

أفلا تجلسى لأتلو عليك ما تلاه محمد علينا من قول الله تعالى .

(يجلسان)

قال تعالى «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »

الفتاة : والله ما هذا بسحر ولا شعر ، ولا بقول بشر ، ووالله ان له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ؛ ادناه مغدق ، واعلاه مورق ، وما هو من اساطير الاولين ؛ ولا هو من همزات الشياطين ، اى كلام هذا ؟

الفتى هذا هو القرآن الكريم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم .

الفتاة : او نزل هذا على محمد ؟

الفتى : نعم .

الفتاة : فكيف الدخول فى دينكم ؟

الفتى : تغتسلين فتطهرين وتطهرى ثوبك ثم تشهدى ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله .

الفتاة : والله لافعلن . . . اشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله .

الفتى : الله أكبر ، الله أكبر .

الشيطان [هامساً] : يا للداهية .

الفتاة : وهل بقى شىء آخر ؟

الفتى : أجل ، ان للإسلام قواعد وهى الصلاة والصيام والزكاة والحج

الفتاة : وكيف أؤديها ؟

الفتى : سأعلمها لك فى وقت قريب .

الفتاة : [تخرج مهرولة وهى تعدو] : الحمد لله الذى هدانى إلى هذا .

الفتى الى الله تعـــدو بين مشى وواحـــد
ودين رســـول الله بالحـــق دينها

obeikandl.com

الفصل الرابع

[الكعبة المطهرة عارية من الاصنام وقد وقف بعيداً عنها جماعة الشياطين وفيهم رئيسهم إبليس وهم جميعاً يبكون ويلطمون وهم ينشدون ....]

جاء دين الهدى رغم دين الضلال وجنينا الردى بعد طول النضال

* * *

ليس يجدى العناد للقضاء المتاح قد أردنا الفساد وأراد الصلاح
فليكن ما أراد قدوضعنا السلاح وقبضنا اليدا عن فنون النزال

* * *

إبليس : يا معشر الشياطين .

الشياطين : لبيك وسعديك .

ابليس : قد رأيتم ماحل بكم وبمملكتكم فقد انهدمت جهنم او كادت وأصبحت كأن لم تكن وقد حطم محمد آلهة القوم بالامس فأصبحوا كأن لم يكن لهم المجد والسؤدد فى هذا البلد .

وقد اصبحت قريش والامة العربية بأسرها تلك الامة المشركة الضالة مؤمنة قانتة لله بعد ان كانت لا تعرف الا الغى والبغى والا الظلم وسفك الدماء .

نعم آمنت الامة العربية بمحمد وانتصر حق الله على باطلنا ولم يبق لنا مقام فى هذه الجزيرة .

ولست آسف لاننا قصرنا فى سعينا او اهملنا فيما كان يجب علينا فقد ابلينا اشد البلاء واحسنه فى محاربة هذا النبي

ولكن الله متم دينه ولو كره الكافرون .....

نعم قد أبلينا بلاء حسنا فى حرب محمد فأغرينا به قومه حتى آذوه وآذوا أصحابه واضطروهم إلى الهجرة فهاجروا وحرضنا القوم على أن يقتلوا محمدا قبل أن يخرج من بين اظهرهم فاستجابوا لنا واجتمعوا بازاء بابه ليقتلوه ولكن الله أعمى أبصارنا وأبصارهم فخرج محمد من بيته ووضع التراب على رءوس القوم وهم غافلون ونحن أشد غفلة منهم ثم نجا مع صاحبه إلى يثرب .

هنالك وثقنا بالخيبة وأيقنا بالفشل ولكننا جاهدنا جهاداً شديداً وأوقعنا فى نفوس القوم حب الحرب فكانت بينهم وبين محمد حروب كثيرة لم يفوزوا فيها بشىء ما وقد اضرمنا على محمد نيران الحرب جميعاً فلم نفلح بل انتصر على كل أعدائه وكنا كمن يسعى إلى حتفه بظلفه وكان من جميع هذه الحروب قوة لمحمد مكنته من ان يجمع العرب الذين كانوا أعداء ويأتى بهم إلى هذا البلد فيدخله عنوة ويكسر الأصنام والآلهة وقد أسلم معه جميع قريش وفيهم أبوسفيان ذلك الذى كنا لا نعتمد إلا عليه وكأنى بكم الآن وقد رأيتم قوة سماوية فرقتكم أيدى سبا وحيل بينكم وبينى

فان مما لا شك فيه أن الله لا يقبل مقامنا فى هذه البلاد التى آمن أهلها فأمنوا مكرنا وردنا عن مقاعدنا من السماء فما لنا فى استراق السمع من سبيل .

فليذهب كل منكم لعمله فى غير هذه البلاد فان المسلمين قليلون ولديكم بلاد فارس والروم ومصر وغيرها من مدن الدنيا .

اشعلوا فى نفوسهم نار الشر واحذروا أن يغلبكم عليهم محمد كما غلبكم هنا .

الشيطان : [ذوالألباب] وأنت أين تكون يا مولاى الرئيس ؟

ابليس : إنى سأبقى هنا لعلى أستطيع أن أحدث فى نفوس القوم شيئاً من الحوادث وأوقع بينهم الفرقة وإذا كان شىء من ذلك فسأدعوكم فتستجيبون لى .

الشياطين : نرجو أن توفق

ابليس : أرجو ذلك .

[يخرجون وهم ينشدون بصوت الحزين . . . . .]

جددوا العزم ولا تطمئنوا للكسل
رب ساع فشل ثم وافاه الأمل

إن يكن عم الهدى فسيمحوه الضلال
وسنلقى السؤددا بافانين المحال
فهبوا الشر يدا منكم ذات نوال
وأجيدوا العملا مصدر النجح العمل

ابليس : [وحده] : جاء نبي الاميين وبلغ الكتاب أجله ألا إن احمد قد نبيء نعم ان مهمتى عظيمة جداً فإنى احاول ان اهدم بناء قد ثبت الله اساسه وقديماً كانت هذه حيلتى فى افساد الأديان والشرائع .

ولئن كان هناك ذنب لى سأخلد من أجله فى النار فهو هذا الذنب، أجل قد امهلنى الله كثيراً وما أظنه إلا سيمهلنى فى هذه ايضا فإن يوم الدين الذى أنظرت به لم يأت بعد ولن يأتى الا بعد زمن طويل فلأنتهز الفرصة ولكن كيف يكون الوصول الى غايتى ؟

انى ازعم أنى رئيس المكرة وزعيم الشياطين ومدبر الفساد فى الأرض فلأعمل اذا ذاكرتى وقوتى لأختراع حيلة تؤدى إلى الغاية فى وقت قريب .

[ثم يمشى مفكراً . ثم يرفع رأسه باسما مبتهجاً . . .]

الآن قد وضحت السبل فمالى لا أغرس فى نفوس أفراد من الذين آمنوا بمحمد حب الحسد والمنافسة واحبب اليهم ادعاء النبوة وأنهم شركاء محمد فى الأمر والقوم حديثو عهد بالدين وهم أولو عصبية لأبنائهم .

نعم هذه فكرة صائبة فلأوجه أعوانى الى أفراد من قبائل العرب

ولأتوجه أنا إلى من ستكون له الكلمة العليا وإنى ارجو أن اصل فى وقت قريب الى ما نريد ونشتهى .

[وهنا يصفر صفيراً مزعجاً فيتقاطر عليه أفراد الشياطين من كل صوب بصور مختلفة ولكنها بشعة . . . .]

الشياطين : لبيك ، هل اهتديت الى طريق تخلصنا من هذا السوء ؟

ابليس : نعم فاسمعوا وأطيعوا

[يشير إلى أحدهم فيتقدم اليه]

تذهب إلى الجزيرة فتنزل فى بنى تغلب وهم نصارى لم يسلموا إلى الآن وهناك امرأة موسوسة يقال لها سجاح بنت الحارث بن سويد فضع فى قلبها حب النبوة ولا تدعهـــا حتى تظهر دعوتها وتأتى بجيش من قومها وأولى عصبيتها لتغزو المدينة [1]

---

(١) من قرآن سجاح قولها : اعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب ، ومن قرآن مسيلمة : المنذرات زرعا ، والحـــاصدات حصدا ، والذاريات قمحا والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقحات لقحا ، اهالة وسمنا ، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقتكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعثر فآووه والباغى فناوئوه : ثم قوله : الفيل ما الفيل ، وما ادراك ما الفيل ، له ذنب وبيل وخرطوم طويل ثم قوله فى الضفدع : ياضفدع بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، نصفك فى الماء ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين . هذا وقد طلب مسيلمة الكذاب من الرسول صلوات الله عليه فى حياته أن يشاركه فى النبوة وأن يقتسم السلطة معه فكتب : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد : فانى اشركت فى الامر معك وأن لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشاً قوم يعتدون فكتب اليه الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى أما بعد فأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

أحد الشياطين: انها فكرة جميلة

ابليس : [يشير إلى آخر . .]

وتذهب أنت إلى بلاد بنى أسد فتجد هناك رجلا مشعوذاً يقال له طليحة بن خويلد الاسدى فالزمه ووسوس له وانطق على لسانه بالاسجاح وأظهر على يديه الأعاجيب حتى يدعى النبوة ويؤمن به قومه ويتقضوا على المسلمين .

الشيطان : نعم الرأى

ابليس : [يشير الى آخر . . .] أما أنت فاذهب الى عبهلة بن كعب المعروف بالأسود العنسى وحبب اليه أن يصطنع النبوة .

[يشير إلى آخر . . .] أما أنت فاذهب إلى بنى تميم وحبب اليهم الكفر بعد الأيمان وبين لهم أن دفع الزكاة ذلة لايرضى بها الحر الأبى، ولا تدعهم حتى يمتنعوا عن اداء الصدقة .

الشياطين : إنه لتدبير جميل

إبليس [يشير إلى آخر] .

أما أنت فإذهب إلى عبد القيس فى بلاد البحرين وانتظر موت محمد فاذا مات فضع فى نفوس القوم أنه كاذب لأنه لو كان نبياً لم يمت ، ولا تدعهم حتى يكفروا بعد إيمانهم .

[الشياطين جميعاً يرقصون ويصفقون وتكون لهم جلبة . . .]

أحد الشياطين: إذاً فسيرجع لنا المجد والعظمة وسنكون أهل القوة والسلطان وانى لأرجو أن لا يمضى زمن حتى تعود الآلهة إلى مكانها فى الكعبة .

إبليس : نرجو جميعاً ذلك فليذهب كل منكم إلى حيث أمر .

بعض الشياطين: إنك لم تأمرنا بشىء ما !!

إبليس : قد وضعت لكم أساس الفكرة ، فعليكم أن تروجوها بكل قواكم ، وإذا

استطاع أحدكم أن يذهب إلى المدينة وينتظر انتقاض العرب على المسلمين فينصح لهم عند ذلك بأن لا يحاربوهم فليفعل .

وإذا استطاع آخر أن يذهب إلى اليهـــود فيحرضهم على إيقاع الفتن والدسائس بين المسلمين فذلك خير ولكن اكفونى شر هؤلاء الاحبار من اليهود والنصارى فقد أخذوا يفقهون التوراة والإنجيل فاملأوا قلوبهم زيغاً وعقولهم ضلالا .

أما أنا فسأذهب إلى رجل سيكون على المسلمين شراً شديد الوقع ، وهو مسيلمة الحنفى ، فأنكم تعلمون سخف عقله وكثرة ما عنده من مال ورجال ومن عدد وعدد

[الشياطين جميعاً] لله در رئيسنا .

[ثم يضحكون ويرقصون وهم ينشدون].

من لهـــذا الدين ... من يد الفســاد
هل له معـــين ... من أولى الرشــاد
نحن بعد حـــين ... ســـادة البـــلاد
ســـوف نستعيد ... عـــزة الأوثان

* * *

فليـــدم إبليس ... مصـــدر الشـرور
نصحـــه تدليس ... وهـــداه زور
أيهـا الرئيس ... إننـا حضـــور
مر بمـــا تريد ... كلنـا شيطـــان

[هنا يتفرق الشياطين ، ويدخل جماعة من الناس فى أزياء عربية بين رجال ونساء وهم يرفعون أصواتهـــم بذكر الله تعالى فيطوفون بالكعبة أشواطاً ثم يجلسون . . . . .]

أحد الجماعة : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

آخـــر : نعم لقد هدانا الله جل علاه بفضله إلى رضاه وأوقع فى قلوبنـا حب طاعته بعد ان كاد يهلكنا الشرك ، ويقضى علينا الإثم والفجور .

وقد مكرنا برسول الله صلى الله عليه وســـلم مكراً شديداً ، فآذيناه وأخرجناه من دياره وشردنا أصحابه كل مشرد ولولا أن منّ الله تعـالى علينا بالهدى لكنا الآن من أصحاب السعير .

آخـــر : ما أسمح هذا الدين واجمله أيهـــا القوم فقد كنا نجد الشرك شقاقاً وعنتاً فأصبحنا الآن وقد برأ الله نفوسنا من كل غى ، وطهر قلوبنا من كل رجس ، وغرس فينا الفضائل .

فمن منا الذى يستطيع الآن أن يتعصب لغير الحق أو يغضب لغير الله ؟ قد كنا غلاة فى حب أنفسنا فأصبحنا الآن نؤثر عليها حتى إن أحدنا ليقول لصاحبه اختر أحد زوجاتى فاطلقها لك ، وكنا غلاظ الأكباد قساة القلوب لا نعرف العفو ولا نطمئن اليه ؛ فأصبحنا الآن رقاق القلوب رحماء حتى إن أحدنا لا يعرف الانتقام ويكاد ينسى أسمه ، مطمئنين بوعد الله شغلنا الشاغل فى عبادة الله ، طلبنا مرضاة الله ، صابرين على الشدائد ، راضـــين بالقضاء خيره وشره .

كل هذا انما تعلمناه من سماحة هـــذا الدين الكريم وبشاشته ، ومما اتصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ومكارم الأخلاق فقد بعث محمد صلوات الله عليه إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ، وبنى هذا الدين القيم على خمس شهادة ان لا إله إلا الله

وإن محمداً رسول الله وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ؛وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

هذه الخمس هى لب الدين ودستوره القوى المتين فشهادة أن لا إله إلا الله أساس العقيدة إذ هى إقرار بوحدانية مبدع الكائنات واعتراف بعظمته وقدرته ، وفى شهادة أن محمد رسول الله إشادة بتلك الرحمة المهداة إلى الوجود وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وفى إقامة الصلاة صلة متينة بين العبد وخالقه إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ورابطة روحية بين جميع المسلمين ، وفى إيتاء الزكاة إصلاح المجتمع وإحكام الروابط بين الطبقات وترفيه عن البائس والمحروم ، وفى صوم رمضان تزكية للنفس وصحة للبدن وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون وعظة سامية لأرباب الترف والنعيم ، وفى حج البيت إيحاء بموقف الناس يوم الفزع الأكبر ومظهر رائع من مظاهر الوحدة الإسلامية وجمع لشتات المسلمين .

الرجل : ليس بنا من تعجب حين نسمع خبره صلى الله عليه وسلم مع كعب بن زهير بن أبى سلمى (١) فهل بلغكم ذلك . . ؟

احد القوم : هات

الرجل : لما فتحت مكة اسلم أهلها وخرج بجير وكعب ابنا زهير الى ابرق وهو ماء لبنى أسد فلما كانا فى الطريق تذكرا أن أباهما قد كان حدثهما أن سيكون للسماء خبر فقال بجير لأخيه كعب اثبت فى الغنم هنا حتى آتى هذا الرجل

---

(١) انعقد اجماع الرواة على ان كعبا احد الفحول المجودين فى الشعر ويصفون شعره بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى والمعروف عن كعب انه قال الشعر وهو صغير وكان أبوه ينهاه ويضربه مخافة ان يكون لم يستحكم شعره . عده ابن سلام فى الطبقة الثانية ولد فى الجاهلية واسلم وامتد به العمر حتى زمن معاوية .

(يريد النبي صلى الله عليه وسلم) فأسمع كلامه ، وأعرف ما عنده ، هل هو مما يستمالح ويلوح صدقه ، فأتبعه أم لا فأتركه فأقام كعب ومضى بجير ، ولما وصل إلى الرسول وسمع كلامه آمن به وأسلم ولما اتصل خبر اسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك وكتب اليه بهذه الأبيات :

ألا ابلغا عنى بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاك بها المأمون(١) كأس آروية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

ففارقت أسباب الهدى وأتبعته ... على أى شىء ويب(٢) غيرك دلكا

على مذهب لم تلف أماً ولا أباً ... عليه ولم تعرف عليه اخا لكا

وأرسل بها إلى بجير ، فلما وقف عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما سمع الرسول قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله ثم قال من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير بهذه الأبيات :

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم

الى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس الا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شىء دينه ... ودين أبى سلمى على محرم

وذيلها بقوله إن رسول الله قد أهدر دمك فإن كان لك فى نفسك حاجة فصر إليه فأنه يقبل من جاءه تائباً ولا يطالبه بما عمله قبل الأسلام ، فلما ابلغ الكتاب كعبا فر إلى قبيلة مزينة لتجيره فأبت عليه ذلك وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، واشفق على نفسه وارجف به أعداؤه فقال هذه القصيدة ثم خرج حتى قدم المدينة ونزل على علىّ كرم الله وجهه ؛ فأتى به إلى المسجد ، وقال هذا رسول الله فقم أليه واستأمنه ؛ فقام اليه حتى جلس

---

(١) المأمون ، كانت قريش تسمى النبي صلوات الله عليه المأمون والامين .

(٢) ويب : كلمة مثل ويل .

بين يديه فوضع يده فى يده قائلا يارسول الله : ما تقول فى كعب إذا جاء تائباً إليك مسلماً ، فقال : أقول إنه مسلم معصوم الدم والنفس قال أتعفو عنه ؟ قال نعم .

فرفع لثامه وقال هأنذا كعب يارسول الله فقال عليه السلام الذى يقول مايقول ثم أقبل على ابى بكر فاستنشده الشعر فانشده ابو بكر .

سقاك بها المأمون كأسا روية فانهلك المأمون منها وعلكا

فقال كعب لم اقل هذا وإنما قلت .

سقاك ابوبكر بكأس روية فأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله ، ووثب اليه رجل من الأنصار فقال دعنى وعدو الله اضرب عنقه ، فقال له الرسول دعه عنك فأنه قد جاءنا تائباً نازعا ، ولما انشد قوله .

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول

خلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة فأراد معاوية شراءها منه فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله احدا ، ولكن معاوية ما زال به حتى اشتراها منه باربعين الف دينار ،

ولما أتم كعب انشاد قصيدته قال له الرسول عليه الصلاة والسلام ، ألا ذكرت الأنصار بخير ، فأنهم لذلك أهل ، فمدحهم بقصيدة أخرى قال فى مطلعها .

من سره كرم الحياة فلايزل فى مقنب من صالح الانصار

ورثوا المكارم كابراً عن كابر إن الخيار هُمُ بنو الاخيار

آخر : فهلا أتممت المنة علينا بانشادها .

الرجل : نعم ان استماع هذه القصيدة محبوب فقد سمعها الرسول عليه السلام

وحازت لديه القبول وكانت سبباً فى نجاة ناظمها من القتل .

أحد القوم : هات

الرجل : وإذا أحسنت الانشاد ؟

أحد القوم : أخلع عليك بردتى هذه تشبها بما فعل الرسول صلوات الله عليه .

الرجل : (ينشد) :

بانت(١) سعاد(٢) فقلبى اليوم متبول(٣)
متيم(٤) اثرها(٥) لم يفد مكبول(٦)
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا اغن(٧) غضيض الطرف مكحول(٨)
هيفاء(٩) مقبلة عجزاء مدبرة
لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت
كأنه منهل(١٠) بالراح معلول(١١)
شجت(١٢) بذى شيم من ماء محنية(١٣)
صاف بابطح أضحى وهو مشمول(١٤)

---

(١) بانت فارقت (٢) سعاد علم مرتجل يريد به امرأة يهواها حقيقة أو خيالا (٣) متبول سقيم (٤) متيم . ذليل (٥) اثرها محل الشىء وموضع القدم من الارض (٦) مكبول ، مقيد (٧) بمعنى مفضوض (٨) مكحول من الكحل من غير اكتحال .

(٩) هيفاء ضامرة البطن رقيقة الخصر المعنى مجبوبتى ضامرة البطن رقيقة الخصر ان اقبلت عظيمة العجز أن أدبرت كانها ظبية قد جل خالقها (١٠) النهل الشرب الأول والراح الخمرة .

(١١) العلل الشرب الثانى . (١٢) شجت مزجت . (١٣) محنية ما انعطف من الوادى وهو اسم مكان .

(١٤) المشمول الذى ضربته ريح الشمال حتى برد والمعنى ان تلك الراح قد مزجت بماء بارد مأخوذ من متعطف الوادى صاف فى مسيل واسع فيه دقاق الحصى وكأن أخذه وقت الضحى بعد أن ضربته ريح الشمال ليكون عذباً بارداً .

تنفى الرياح القذى عنه وافرطه (١)
من صوب (٢) سارية (٣) بيض (٤) يعاليل (٥)
اكرم بها خلة (٦) لو انها صدقت
موعودها أولوان النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط (٧) من دمها
فجع وولع واخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها
كما تلوّن فى أثوابها الغول (٨)
ولا تمسك بالعهد الذى زعمت
الا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت
ان الامانى والاحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب (٩) لها مثلا
وما مواعيدها إلا الاباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها
وما إخال لدينا منك تنويل (١٠)

---

(١) وافرطه ملأه حتى أسال الماء أو فاض (٢) والصوب المطر (٣) والسارية السحابة تأتى ليلا (٤) بيض ضد الاسود وجبل بمكة (٥) يعاليل وهو السحاب الابيض والمطر بعد المطر والمراد بالبيض اليعاليل الجبال الشديدة البياض (٦) والخلة هنا الصديقة والمعنى ما أكرم سعاد من حيث أنها صديقة وأصيلة ولو أنها صدقت فى وعدها ووفت بعهدها وقبلت نصح خليلها لكانت على أتم الخلال .
(٧) سيط خلط (٨) الغول المراد منه الواحدة من السعالى وهى أناث الشياطين والغول فى الواقع شىء يخوف به ولا وجود له فى الخارج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة ولا نوء ولا غول
(٩) عرقوب المذكور هو ابن معبد بن زهير أحد بنى عبد شمس بن ثعلبه أو عرقوب بن صخر وقد اشتهر باخلاف الوعد: نزل بالمدينة قبل أن ينزلها اليهود وكان صاحب نخل وانه وعد صديقاً له تمر نخلة من نخله فلما حملت وصارت بلحاً أراد الرجل أن يصرمه فقال عرقوب دعه حتى يحمر أو يصفر فلما شقحت أراد الرجل أن يصرمها فقال عرقوب له دعها حتى تصير رطباً فلما صارت رطباً قال دعه حتى تصير تمراً فلما صارت تمراً انطلق إليه عرقوب فجلده ليلا فجاء الرجل بعد أيام فلم ير إلا عوداً قائماً فذهب وعود عرقوب مثلا (١٠) تنويل عطاء والمراد هنا الوصل

أمست سعاد بأرض لا يبلغها

إلا العتاق(١) النجيات(٢) المراسيل(٣)

ولن يبلغها إلا عذافرة(٤)

لها على الاين(٥) إرقال(٦) وتبغيل(٧)

من كل نضاخة(٨) الذفرى(٩) إذا عرقت

عرضتها طامس الاعلام مجهول

ترمى الغيوب(١٠) بعينى مفرد لهق(١١)

إذا توقدت(١٢) الحزاز(١٣) والميل

ضخم مقلدها فعم مقيدها

فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل

غلباء(١٤) وجناء(١٥) علكوم(١٦) مذكرة

فى دفها سعة قدامها ميل

---

(١) العتاق الكرام جمع عتيق سميت بذلك لانها عتقت من العيوب (٢) والنجيات السريعات فى السير (٣) المراسيل السريعات فى المشى فيكون تأكيداً للنجيات والمعنى أن سعاداً صارت بأرض بعيدة لا يوصل إليها إلا الابل الكرام السريعة السير .

(٤) العذافرة الناقة الصلبة العظيمة (٥) الاين الاعياء والتعب (٦) الارقال مسرعة وناقة مرقال مسرعة (٧) التبغيل ضرب من السير فوق الخبب ودون الارقال (٨) نضاخة كثيرة السيلان يقال عين نضاخة إذا كانت كثيرة الماء فوارة (٩) الذفرى النقرة خلف اذن الناقة والبعير وهو أول ما يعرق منها (١٠) الغيوب كل ما غاب عنك وهو هنا آثار الطريق التى غابت معالمها (١١) لهق وهو الثور الابيض (١٢) وتوقدت التهبت والمراد به اشتداد الحر (١٣) الحزاز الامكنة الغليظة والمعنى ان هذه الناقة جيدة النظر فتبصر ما غاب من آثار الطريق بعينيها الشبيهتين بعينى الثور الوحشى الابيض الفاقد لانثاه وقت اشتداد الحر (١٤) غلباء غليظة العنق (١٥) وجناء عظيمة الوجنتين (١٦) علكوم الشديدة من الابل وغيرها

وجلدها من أطوم(١) لا يؤيسه(٢)

طلح(٣) بضاحية المتنين مهزول

حرف اخوها أبوها من مهجنة(٤)

وعمها خالها قوداء(٥) شمليل(٦)

يمشى القراد(٧) عليها ثم يزلقه(٨)

منها لبان(٩) وأقراب(١٠) زهاليل(١١)

عيرانة(١٢) قذفت بالنحض(١٣) عن عرض

مرفقها عن بنات الزور مفتول

كأنما فات عينيها ومنبحها

من خطمها ومن اللحيين برطيل(١٤)

تمر مثل عسيب(١٥) النخل ذا خصل

فى غارز(١٦) لم تخونه الاحاليل(١٧)

---

(١) اطوم سلحفاة بحرية غليظه الجلد (٢) ويؤيسه يذلله (٣) وطلح قراد وضاحية بارزة للشمس والمتنين تثنية متن وهو الظهر (٤) مهجنة منسوبة إلى الهجان وهى كرائم الابل (٥) قوداء طويلة الظهر والعنق (٦) شمليل سريعة (٧) القراد حشرة معروفة (٨) يزلقه يبعده (٩) لبان مابين الثديين (١٠) واقراب خواصر (١١) زهاليل ملس جمع زهلول (١٢) العيرانة الناجية (١٣) النحض كاللحم وزناً ومعنى (١٤) برطيل المعول من الحديد او الحجر والتشبيه بالاول فى القوة وبالثانى فى الاستطالة (١٥) عسيب النخل جريده (١٦) غارز من غرزت الناقة قل لبنها (١٧) الاحاليل مخارج اللبن

قنواء[١] فى حرتيها للبصير بها

عنق مبين وفى الخـــدين تسهيل

تخدى[٢] على يسرات[٣] وهى لاحقة

ذوابل[٤] مسهن الأرض تحليل[٥]

سمر العجايات[٦] يتركن الحصا زيما[٧]

لم يقهن رؤوس الأكم[٨] تنعيل[٩]

كأن أوب[١٠] ذراعيها إذا عرقت

وقد تلفع بالقور[١١] العساقيل[١٢]

يوما يظل به الحرباء[١٣] مصطخداً[١٤]

كأن ضاحيـــة بالشمس مملول[١٥]

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت

ورق الجنادب[١٦] يركضن الحصا قيلوا[١٧]

---

(١) قنـــواء محدود به الانف تسهيل المـــراد أن خديها اسيـــلان لارتفاع فيهما.
(٢) تخدى تسرع (٣) يسرات قوائم خفاف (٤) ذوابل الرماح الصلبة اليابسة اى قوائمها كالرماح المليته (٥) تحليل وهو الفعل اليسير (٦) العجايات الاعصاب (٧) زيما متفرقا (٨) الاكم الروابى المرتفعة.
(٩) تنعيل شد النعل على خف البعير (١٠) أوب سرعة تقلب اليدين والرجلين فى السير (١١) القور الجبل الصغير (١٢) العساقيل السراب (١٣) الحرباء حيوان يرى له سنام كسنام الابل يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون بالوان كثيرة
(١٤) مصطخدا مخترقا بحر الشمس (١٥) مملول الرماد الحار او الحفرة نفسها من هذا الرماد والمعنى أن الآكام تلفعت بالسراب فى يوم يظل فيه الحرباء محترقاً بحر الشمس كان البارز لها
(١٦) الجنادب : الجراد الصغير (١٧) قيلوا : استريحوا .

شد[١] النهار ذراعا عيطل[٢] نصف
قامت فجاوبها نكد[٣] مثاكيل[٤]
نواحة رخوة الضبعين[٥] ليس لها
لما نعى بكرها الناعـــون معقول[٦]
تفرى[٧] اللبان[٨] بكفيها ومدرعها
مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الوشاة جنابيها[٩] وقولهمُ
إنك يا إبن أبى سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله
لا ألهينَّك إنى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبالكمُ
فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وإن طالت سلامته
يوما على آلة[١٠] حدباء محمـــول

---

(١) شد النهار ارتفاعه أى ما بين طلوع الشمس إلى غروبها (٢) العيطل الطويلة العنق فى حسن جسم (٣) النكد جمع نكداء وهى التى لا يعيش لها ولد (٤) والمثاكيل جمع مثكال كثيرة الثكل وهو فقدان المرأة ولدها أو التى مات لها أولاد كثيرة (٥) الضبعين تثنيه ضبع وهو العضد (٦) معقول أى عقل (٧) تفرى تشقق من فراه شقه (٨) اللبان الصدر (٩) جنابيها تثنية جناب فناء الشىء والمعنى تسعى الوشاة بينى وبين محبوبتى سعاد بما يضاعف همومى قائلين لا مفر لك فقد أهدر المصطفى دمك يا ابن أبى سلمى فلا أمل فى وصال من تحبها (١٠) آلة سرير الميت . حدباء صعبة أو مرتفعة .

انبئت ان رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول[1]
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخـــذنى باقوال الوشاة ولم
اذنب وان كثرت فىّ الأقاويل
لقد اقوم مقاما لو يقوم به
أرى واسمـــع ما لو يسمع القيل
لظل يرعد إلا ان تكون له
من الرسول باذن الله تنويل[2]
حتى وضعت يمينى لا انازعه
فى كف ذى نقمات قيله القيل
لذاك اهيب عنـــدى اذ اكلمه
وقيل انك منسوب ومسئول
من خادر[3] من ليوث الاسد مسكنه
من بطن عثر[4] غيل[5] دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
لحم من القوم معفور[6] خراديل[7]
اذا يساور قرنا لا يحـــل له
ان يترك القرن الا وهو مجدول[8]
منه تظل سباع الجو ضامزة
ولا تمشى بواديه الاراجيل[9]

---

(١) روى انه عليه السلام لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله مأمول اشارة إلى أن اصله من عند الله (٢) تنويل تأمين (٣) اسد داخل فى خدره (٤) عثر : مأسدة بأرض اليمن تكثر فيها السباع (٥) وغيل مأوى الاسد (٦) معفور ملقى فى التراب (٧) خراديل قطع صغيرة (٨) مجدول ملقى على الجدالة وهى الارض (٩) الاراجيل جمع رجل وهو ضد الفارس

ولا يزال بواديه اخو ثقة
مطرح البز والدرسان مأكول
ان الرسول لنور يستضاء به
وصارم من سيوف الله مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم[١]
ببطن مكة لما أسلموا زولوا[٢]
زالوا فما زال انكاس[٣] ولا كشف[٤]
عند اللقاء ولا ميل[٥] معازيل[٦]
شم[٧] العرانين أبطال لبوسهم
من نسج داوود فى الهيجا سرابيل[٨]
بيض سوابغ قد شكت لها حلق
كأنها حلق القعضاء[٩] مجدول
لا يفرحون اذا نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرّد[١٠] السود التنابيل[١١]
لا يقع الطعن إلا فى نحورهم
وما لهم عن حياض الموت تهليل[١٢]

أحد القوم : لله در كعب بن زهير بن أبى سلمى
اخر : ولله در منشدها

---

(١) يقصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢) زولوا تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة (٣) انكاس ضعاف (٤) وكشف جمع أكشف الذى لا ترس معه (٥) ميل جمع أميل وهو الذى لا سيف معه (٦) معازيل جمع معزال وهو الذى لا رمح معه (٧) شم العرانين جمع أشم وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء (٨) سرابيل وهو الدرع والقميص (٩) القعضاء شجر ينبسط على وجه الارض (١٠) عرد هرب (١١) التنابيل القصار (١٢) تهليل تأخير : والمعنى أن أصحابه لا ينهزمون فيقع الطعن فى ظهورهم .

آخـــر : اغر عليـــه للنبوة خاتم
من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله إسم النبي إلى إسمه
إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان فى الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيراً وهادياً
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الأسلام فالله نحمد
وأنت آله العرش ربى وخالقى
بذلك ما عمرت فى الناس اشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك آلها أنت اعلا وأمجد
لك الحمد والنعماء والأمر كله
فأياك نستهدى وأياك نعبد
آخـــر : نبي كان يجلو الشك عنا
بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل
فلم نر مثله فى الناس حيا
وليس له من الموتى بديل

آخـــر : اليك رسول الله خبت مطيتى
تجوب الفيافى من عمان إلى العرج [1]
لتشفع لى يا خير من وطىء الحصا
فيغفر لى ربى فارجع بالفلج
إلى معشر جانبت فى الله دينهم
فلا دينهم دينى ولا شرجهم شرجى
وكنت امرأ باللهو والخمر مولعا
شبابى إلى أن آذن الجسم بالنهج
فبدلنى بالخمر خوفا وخشية
وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى

آخر : اللهم صل على سيدنا محمد فى النهار اذا تجلى وصل عليه فى الآخرة والاولى وصل عليه شاباً زكياوصل عليه كهلا مرضيا وصل عليه منذكان فى المهد صبياً

آخر : اللهم صل على سيدنا محمد ما دارت الافلاك ودجت الاحلاك وسبحت الاملاك اللهم صل عليه ما طلعت الشمس وما صليت الخمس وما تألق برق وتدفق ودق وما سبح رعد .

آخر : بمثل هذا الحديث تتعطر الأندية ، وإلى مثله تطمئن القلوب ، فالحمد لله على ما اسدى الينا من نعمه وآلائه .

آخر : ألا تريدون أن أحدثكم ببعض ما سمعته من أحاديثه الشريفة من أمهات الحكم وجوامع الكلم ؟

القوم : لا بأس هات

الرجل : قال صلى الله عليه وسلم: اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا ولا تضلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ولا منعزلا بصومعة ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء . وقال : أحب الجهاد إلى الله ، كلمة الحق تقال لأمام جائر . وقال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا

---

(١) عمان والعرج بلدان

ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله اخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وقال : إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ، وقال : ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه ، وستر عليه برحمته ، وأدخله فى محبته ، من إذا أعطى شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر ، وقال : رغم أنف ثم رغم أنف، ثم رغم أنف ، من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة ، وقال : خير الأصحاب عند الله تعالى ، خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره ، وقال : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم ، وقال : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الأيمان حتى تؤدى حق زوجها ، ولو سألها نفسها . وهى على ظهر قتب ، وقال : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، وقال : لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها .

وقال اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا وما هن قال الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وقال : إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا إستعنت فاستعن بالله ، وإعلم إن الأمة لو أجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف .

وقال : من صام رمضان إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، وقال : ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً .

وقال : أبو سفيان سألت رسول الله فقلت : قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحد غيرك ، قال : قل آمنت بالله ثم استقم ، وقال : تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ، فانى أنا أبو القاسم .

وقال : فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض كلها مسجداً ، وتربتها طهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون .

وقال : أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ؛ وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر .

قال: إذا كان يوم القيامة كنت أمام النبين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر .

وقال : حياتى خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتى خير لكم تعرض علىّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم .

وقال : يا فاطمة اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئاً .

وقال : من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فاكثروا علىّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ .

وقال : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فان الشح ، أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم

قال : ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل يارسول الله فما المخرج منها ، قال كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ؛ وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هوالفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الالسنة، ولا تتشعب منه الآراء، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقياء من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعى اليه هدى إلى صراط مستقيم .

قال أربع من كن فيه كان منافقاً ، إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وقال لعلى : يا على كن شجاعاً فان الله عز وجل يحب الشجاع ، يا على كن سخياً ، فان الله عز وجل يحب السخاء يا على كن غيوراً فان الله عز وجل يحب الغيور، يا على وإن سائل سألك حاجة ليس لها بأهل ، فكن أنت لها أهلا .

وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء (قاطع لشهوته) وقال : إن من أعظم الامانة عند الله ، الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى اليه ثم لا ينشر سرهما ، وسئل عليه السلام : أى الأعمال أفضل ، فقال الصلاة لاول وقتها ، ثم بر الوالدين ثم الجهاد فى سبيل الله ، وقال : استعينوا على الرزق بالصدقة .

وقال عليه الصلاة والسلام : رفعت البركة عن خمسة ، عن الخائن ، والباغى ، والناكث ، والحسود ، والحقود ، وقال : من آذى مؤمناً فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله .

آخر : جاءت له الدنيا فاعرض زاهداً ... يبغى من الاخرى المكان الارفعا
ما جر أثواب الحرير ولا مشى ... بالتاج من فوق الجبين مرصعا
وهو الذى لوشاء نالت كفه ... كل الذى فوق البسيطة أجمعا

آخـــر : لاتركنن إلى الثياب الفاخرة واذكر عظامك حين تمسى ناخرة
وإذا ذكرت زخارف الدنيا فقل لبيك ان العيش عيش الآخرة

آخـــر : عطرت مجلسنا هذا بالكثير من شجى كلامه وعذب منشوره فهلا عطرته ببعض خطبه ؟

الرجل : لك ما تريد وهاكم خطبة له عليه الصلاة والسلام قد وعت فاوعت قال :

أيها الناس أن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وأن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين ، بين عاجل قد مضى ، لا يدرى ما الله صانع به ، وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذى نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة أو النار .

ومن خطبة له عليه السلام : ألا أن الدنيا خضرة حلوة ألا وأن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لا يمنعن رجلا مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه .

ومن خطبة له عليه السلام : ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتؤجروا وتنصروا واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى عامى هذا ، فى شهرى هذا ، إلى يوم القيامة ، حيانى ومن بعد موتى ، فمن تركها وله أمام فلاجمع الله شمله ، ولا بارك له فى أمره ؛ ألا ولا حج له ألا ولا صوم له ؛ ألا ولا صدقة له ؛ ألا ولا بر له ؛ ألا ولا يؤم اعرابى مهاجراً ؛ ألا ولا يؤم فاجر مومناً ، ألا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه .

ومن خطبة له صلى الله عليه وسلم وهى خطبة الوداع .

أيها الناس ، اسمعوا منى ابين لكم فانى لاأدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا ، فى موقفى هذا ، أيها الناس : ان دماءكم واموالكم ، حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

فمن كانت عنده امانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا ابدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة ، وان اول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وسبته العمد ماقتل بالعصاء والحجر ، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ، أيها الناس: ، ان الشيطان قد ئيس أن يعبد فى ارضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم ، أيها الناس : انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفرواء ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت .؟ اللهم فاشهد ، .

أيها الناس: أن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحد تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن ، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع ؛ وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين واطعنكم ، فعليكم رزقهن ، وكسوتهن ، بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئاً ، أخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، الا هل بلغت؟ اللهم فاشهد أيها الناس : انما المؤمنون أخوة ، فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل

بلغت ؟ : اللهم فاشهد : فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قـــد تركت فيكم ما أن أخذتم به لم تضلوا بعده ، كتاب الله وأهل بيتى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد : أيها الناس : أن ربكم واحد، وإن اباكم واحد ، كلـكم لآدم ، وآدم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ : اللهم فاشهد : فليبلغ الشاهد الغائب ، أيها الناس: إن الله قد قسم لـكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية فى اكثر من الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر من ادعى إلى غير ابيه او تول غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائـكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن خطبة له يوم فتح مكة وقد وقف على باب الـكعبة

لااله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة اودم او مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ العمد بالسوط والعصا فيه الديه مغلظة فيها اربعون خلفة فى بطونها اولادها ، يامعشر قريش : أن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا هذه الآية «يا أيها الناس : أنا خلقناكم من ذكر وانثى» يامعشر قريش او ياأهل مكة : ماترون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، اخ كريم وابن أخ

قال : فاذهبوا فانتم الطلقاء

ومن خطبة له صلى الله عليه وسلم وهى أول خطبة خطبها فى مكة :

أن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله اليـكم حقاً وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءا ، وانها للجنة أو النار ابداً وأنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد ،

آخـــر : حدثتنا عن بعض أحاديثه الشريفة وعن بعض خطبه الممتعة فهلا حدثتنا عن بعض رسائله الكريمة صلوات الله عليه .

الرجل : وها كم رسالته التى بعث بها الى كسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة السهمى حيث كان يتردد على كسرى كثيراً قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رســـول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، فأنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، اسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس الذين هم أتباعك .

واليكم برسالته التى بعث بها إلى المقوقس ملك القبط على يد حاطب بن أبى بلتعة قال : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الأسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك اثم القبط أى الذين هم رعاياك ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون .

وهذه رسالته إلى النجاشى ملك الحبشة على يد عمر بن أمية الضمرى قال

من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة

فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، وانى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وان تتبعنى وتوقن بالذى جاءنى فإنى رسول وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى

آخـــر : حقاً بمثل هذا الحديث تتعطر الأندية وتتفاخر المجالس .

آخـــر : وهل بعد ذكر الرسول صلوات الله عليه من عطر وتفاخر ؟
فالحمد لله الذى هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

الرجـــل : وحكاية ذلك اليهودى الذى اتاه يتقاضاه دينا عليه لم يحل أجله ألا تذكرونها .؟

القـــوم : زدنا زادك الله علماً وعرفاناً .

الرجـــل : أتاه يهودى يتقاضاه ديناً عليه لم يحل أجله فجذب ثوبه عن منكبيه وأخذ بمجامعه ، ثم قال له ، انكم يا بنى عبد المطلب مطل ؛ فانتهره عمر وهم به وشدد له فى القول ، فابتسم الرسول والتفت إلى عمر قائلا :

أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج ياعمر ، تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن القضاء . ثم قال لقد بقى من أجله ثلاث ، وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه ، فكان ذلك سبباً فى إسلام اليهودى وقال ما بقى من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفته فى محمد .

وأروع من هذا وذاك يوم جاءه رجل إعرابى فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة من هيبته فقال عليه الصلاة والسلام هون عليك انى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد . واشد روعة يوم كان عليه الصلاة والسلام فى سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال أحدهم علىّ ذبحها وقال آخر علىّ سلخها وقال ثالث علىّ طبخها فقال الرسول علىّ جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل قال قد علمت أنكم تكفونى ولكنى أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه .

القـــوم : حقاً لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه فسلام عليه فى الآخرة والأولى

سارح القـــوم : وأين أنتم من حديثه مع ذلك الشيخ الوقور من شيوخ بنى عامر يوم أقبل عليه وكيف كان ذلك . . . ؟

سارح : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه إذ أقبل شيخ من بنى عامر وسيدهم يتوكأ على عصاه فمثل بين يدى الرسول قائماً ونسبه إلى جده فقال يا إبن عبد المطلب ، إنى أنبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ألا وأنك فوهت بعظيم وأنما كانت الأنبياء والخلفاء فى بيتين من بنى إسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان فمالك وللنبوة ؟

ولكن لكل قول حقيقة فانبئنى بحقيقة قولك وبدء شأنك فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم بمسألته ، ثم قال : يا أخا بنى عامر إن لهذا الحديث الذى تسألنى عنه نبأ ومجلساً فاجلس ، فثنى الرجل رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبى بالحديث فقال يا أخا بنى عامر أن حقيقة قولى وبدء شأنى أنى دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى بن مريم ، وأنى كنت بكر امى وأنها حملت نى كأثقل ما تحمل وجعلت تشتكى إلى صواحبها ثقل ما تجد ثم أن أمى رأت فى المنام أن الذى فى بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصرى النور والنور يسبق بصرى حتى أضاءت مشارق الأرض ومغاربها ثم أنها ولدتنى فنشأت فلما أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش وبغض إلى الشعر ، وكنت مسترضعاً فى بنى ليث بن بكر فبينا أنا ذات يوم منتبذ من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان نتقاذف بيننا بالجلة اذ أتانا رهط ثلاثة ، معهم طشت من ذهب ملىء ثلجاً فأخذونى من بين أصحابى ؛ فخرج أصحابى هراباحتى انتهوا إلى شفير الوادى ؛ ثم أقبلوا على الرهط فقالوا ما أربكم إلى هذا الغلام فانه ليس منا ؛ هذا ابن سيد قريش وهو مسترضع فينا ؛ وهو غلام يتيم ليس له أب فماذا يرد عليكم قتله وماذا تصيبون من ذلك ؟ ولكن أن كنتم لابد قاتليه فاختاروا منا أينا شئتم فليأتكم مكانه فأقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم .

فلما رأى الصبيان القوم لا يحيرون اليهم جوابا ؛ انطلقوا هرابا مسرعين إلى الحى يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم ؛ فعمد أحدهم فاضجعنى على

الأرض اضجاعاً لطيفاً ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مساً ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه تنح فنحاه عنى ؛ ثم أدخل يده فى جوفى ، فأخرج قلبى وأنا أنظر اليه فصدعه ؛ ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ، ثم اهوى بيده يمنة منه كأنه يتناول شيئاً فاذا أنا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبى ؛ فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة ؛ ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهراً ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتنح عنى ، فامر يده ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى ، فالتأم ذلك الشق باذن الله ثم أخذ بيدى فانهضنى من مكانى أنهاضاً لطيفاً ثم قال للأول الذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنونى بهم ؛ فرجحتهم ؛ فقال دعوه ؛ فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم قال ثم ضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا ياحبيب لم ترع أنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك ؛ قال فبينا نحن كذلك إذ أنا بالحى قد جاءوا بحذافيرهم وإذا امى وهى ظئرى أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وتقول : يا ضعيفاه فانكبوا علىّ فقبلوا رأسى ، وما بين عينى فقالوا حبذاً انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الأرض ، ثم قالت ظئرى يا يتيماه ؛ إستضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك ، فانكبوا على فضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ؛ وقالوا حبذاً أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ماذا يراد بك من الخير فوصلوا بى إلى شفير الوادى ؛ فلما بصرت بى أمى وهى ظئرى ؛ قالت يا بنى ألا أراك حياً بعـــد ؛ فجاءت حتى انكبت علىّ وضمتنى إلى صدرها ، فوالذى نفسى بيده إنى لفى حجرها وقد ضمتنى اليها وأن يدى فى يد بعضهم فجعلت التفت اليهم وظننت أن القوم يبصرونهم فإذا هم لا يبصرونهم

يقول بعض القوم أن هذا الغلام قد أصابه لمم « أو طائف من الجن ؛ فانطلقوا به إلى كاهنناً حتى ينظر اليه ويداويه ؛ فقلت ياهذا ؛ ما بى شىء مما تذكر أن إرادتى سليمه وفؤادى صحيح ليس بى قلبة (علة) فقال أبى وهو زوج ظئرى ؛ ألا ترون كلامه كلام صحيح أنى لأرجوا أن لا يكون بابنى بأس فاتفقوا على أن يذهبوا بى إلى الكاهن فاحتملونى حتى ذهبوا بى اليه فلما قصوا عليه قصتى قال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم ؛ فسألنى فأقتصصت عليه أمرى مابين أوله وآخره ؛ فلما سمع قولى وثب إلىّ وضمنى إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب . يا للعرب اقتلوا هذا الغلام ، واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه وأدرك ليذلن دينكم ؛ وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم ؛ وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط فعمدت ظئرى فانتزعتنى من حجره ؛ وقالت لانت اعتته وأجن من ابنى هذا فلو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به ؛ فاطلب لنفسك من يقتلك؛ فأنا غير قاتلى هذا الغلام ؛ ثم احتملونى فأدونى إلى أهلى .

فأصبحت مفزعا بما فعل بى ؛ وأصبح أثر الشق مابين صدرى إلى منتهى عانتى كأنه الشراك (أحد سيور النعل التى تكون على وجهها)؛ فذلك حقيقة قولى وبدء شأنى يا أخا بنى عامر .

فقال العامرى أشهد بالله الذى لا إله غيره أن أمرك حق فأنبئنى بأشياء أسألك عنها ؛ قال سل عما شئت فقال له العامرى ؛ اخبرنى يا ابن عبد المطلب ، ما يزيد فى العلم ؛ قال ؛ التعلم قال ؛ فأخبرنى ما يدل على العلم ؛ قال السؤال قال فأخبرنى ماذا يزيد فى الشر ؛ قال التمادى قال ؛ فاخبرنى هل ينفع البر بعد الفجور ؛ قال نعم التوبة تغسل الحوبة (الاثم) والحسنات يذهبن السيئات وإذا ذكر العبد ربه عند الرخاء أغاثه عند البلاء ؛ قال العامرى وكيف ذلك يا ابن عبد المطلب ؛ قال ذلك بأن الله يقول « لا وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى امنين ولا أجمع له أبداً خوفين أن هو خافنى فى الدنيا أمنته يوم أجمع

فيه عبادى عنـــدى فى حظيرة القدس فيدوم له أمنه؛ ولا أمحقه فيما أمحق ؛ وان هو أمنى فى الدنيا خافنى يوم أجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه ؛ قال يا ابن عبد المطلب ؛ أخبرنى ألام تدعو قال أدعو إلى عبادة الله وحـــده لا شريك له ؛ وان تخلع الأنداد وتكفر باللات والعزى ؛ وتقر بمـــا جاء من الله من كتاب او رسول ؛ وتصلى الصلوات الخمس بحقائقهن ؛ وتصوم شهراً من السنة وتؤدى زكاة مالك يطهرك الله بها ويطيب لك مالك ، وتحج البيت إذا وجدت اليه سبيلا وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت وبالجنة وبالنار ؛ قال يا إبن عبد المطلب فاذا فعلت ذلك فمالى ؛ قال جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيهـا وذلك جزاء من تزكى قال يا إبن عبد المطلب هل مع هذا من الدنيا شىء ؟ فإنه يعجبنى الوطأة من العيش . قال النبي عليه الصلاة والسلام نعم النصر والتمكن فى البلاد .

أحد القوم : بذا أجاب وأناب

الرجـــل : ثم انظروا إلى الرسول صلوات الله عليـه بعد أن عظم شأنه ودانت له العرب كلها وقد نصره الله يوم حنين على هوازن ، فهزم الجند واحتوى المال وسبى الذرية والنساء وقسم الغنائم بين المسلمين وانه بالجعرانة وإذا وفد من هوازن يقبل عليه مسلماً منبئاً باسلام من وراءه من الناس وفى هذا الوفد عمه من الرضاعة فيقول يا رسول الله ، انما فى هذه الحظائر من كان يكفلك من عماتك وخالاتك وحواضنك وقد حضناك فى حجورنا ، وأرضعناك بثدينا ولقد رأيتك مرضعاً فما رأيت مرضعاً خير منك ، ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خير منك ، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خير منك ، وقد تكاملت فيك خلال الخير ونحن مع ذلك أصلك وعشيرتك فأمنن علينا من الله عليك فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون ، وقد قسمت السبى وجرت فيه السهمان فما كان منه لى ولبنى

عبد المطلب فهو لكم ، وأسأل لكم الناس ، فإذا صليت بالناس الظهر فقولوا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ، فإنى سأقول لكم ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وسأطلب لكم إلى الناس فلما صلى الظهر قام الوفد فأتم ما أمر به ووفى لهم بوعده وشفع لهم عند الناس فردت عليهم نساؤهم وأبناؤهم .

أحد القوم : وأى وفاء ابلغ من هذا الوفاء ؟ اللهم صل عليه ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد .

الرجل : ثم انظروا حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا ، فما أشار إلى صنم منها فى وجهه الا وقع إلى قفاه ولا اشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع .

وفى الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

الرجل : وهل بلغكم ما كان من أمر عمر بن الخطاب حين سمع ان النبي قد طلق زوجاته ؟

القوم : هات

الرجل : سأل ابن عباس عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبى صلوات الله عليه فقال تلك حفصة وعائشة ثم قال والله ان كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى انزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم

وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار اذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الانصار فصخبت علىّ امرأتى فراجعتنى فأنكرت أن تراجعنى قالت .. ولم تنكر أن أراجعك فوالله أن أزواج النبى ليراجعنه وان أحداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعنى ذلك وقلت لها قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت على ثيابى فنزلت فدخلت

على حفصة فقلت لها أى حفصة أتغاضب احدا كن النبى اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت افتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلكى لا تستكثرى النبى ولا تراجعيه فى شىء ولا تهجريه وسلينى ما بدالك ولا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك واحب إلى النبى « يريد عائشة »

وكان لى صاحب من الانصار إذا غبت أتانى بالخبر وإذا غاب كنت آتيه بالخبر .

قال عمر وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فنزل صاحبى الانصارى يوم نوبته فرجع إلينا عشاء فضرب بابى ضرباً شديداً وقال : أثم هو . . . ففزعت فخرجت إليه فقال قد حدث اليوم أمر عظيم قلت ما هو أجاءت غسان ؟ قال لا . بل أعظم من ذلك وأهول . طلق النبى نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون فجمعت علىّ ثيابى فصليت صلاة الفجر مع النبى فدخل النبى مشربة له فاعتزل فيها ودخلت على حفصة فاذا هى تبكى فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبى قالت لا أدرى ها هوذا معتزل فى المشربة فخرجت فجئت إلى المنبر فاذا حوله رهط يبكى بعضهم فجلست معهم قليلا ثم غلبنى ما أجد فجئت المشربة التى فيها النبى فقلت لغلام له أسود استأذن لعمر فدخل الغلام فكلم النبى ثم رجع فقال كلمت النبى وذكرتك له فصمت فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبنى ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع فقال قد ذكرتك له فصمت فرجعت فجلست مع الرهط ثم غلبنى ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم رجع إلى فقال قد ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفاً إذا الغلام يدعونى فقال قد أذن لك النبى فدخلت على رسول الله فإذا هو مضطجع على رمال [1] حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من

(١) رمال حصير ضلوعه المتداخلة فيه كالخيوط فى الثوب

أدم[1] حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع إلى بصره فقال لا .. فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم أستأنس يا رسول الله لو رأيتنى وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي ثم قلت يا رسول الله لو رأيتنى ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي « يريد عائشة » فتبسم النبي تبسمة أخرى فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصرى فى بيته فوالله ما رأيت فى بيته شيئاً يرد البصر غير اهبة[2] ثلاثة فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يارسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله . . . فجلس النبي وكان متكئاً فقال أو فى هذا أنت يا ابن الخطاب ؟ أن أولئك قوم عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا ، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ فقلت يا رسول استغفر لى .

ثم أنظروا وتعجبوا حديث سهل بن سعد الساعدى إذ تحدث فقال أن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله جئت لأهب لك نفسى فنظر إليها رسول الله فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ،

فقال هل عندك من شيء ؟ فقال لا والله يا رسول الله

قال اذهب إلى اهلك فانظر هل تجد شيئاً ؟

فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً .

قال انظر ولو خاتماً من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن هذا ازارى فلها نصفه فقال الرسول ماتصنع بأزارك ؟ ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك شيء فجلس

---

(١) جلد (٢) اهبة جلود لم تدبغ

الرجـــل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله موليـاً فأمر به فدعى فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا « عدها » .

قال رسول الله اتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟

قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن .

أحد القوم : ليس هذا بكثير على النبي

سـارح : وحديث ذلك الرهط الثلاثة أين أنتم منه

أحد القوم : وكيف كان ذلك ؟

سـارح : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي

فلما اخبروا تقالّوها « عدوها قليلة » وقالوا وأين نحن من النبي

وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

قال أحدهم أما أنا فإنى اصلى الليل ابدا

وقال آخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً

وقال آخر أنا أصوم الدهر

فجاء رسول الله صلى الله وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا

أما والله انى لأخشاكم لله واتقاكم له لـكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى

أحد القوم : إلا بمثل هذا تطمئن القلوب وتسمو النفوس اللهم صل على سيدنا محمد النبى الزاهد رسول الملك الصمد الواحد صلاة دائمه إلى منتهى الأبد .

الرجـــل : عطرنا مجلسنا هذا ببعض أحاديثه الشريفة ورسائله . الكريمة فلنعطره إذا شئتم بجلية أوصافه الحميدة ولا ينبئكم مثل خبير .

أحد القوم : هات . هات . فقد عهدناك وصافاً مجيداً .

الرجـــل : فرسول الله فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب . عظيم الهامة رجـــل الشعر ، ازهر اللون . واسع الجبين ، ازج الحواجب سوابغ من غير قرق ، بينهما عرق يدره الغضب ، اقنى العرنين ، له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ادعج العينين ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادناً متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والصرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين ماسوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلصاً ويخطو تكفؤاً ويمشى هوناً ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام .

متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير ، دمثاً . ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعمة وأن دقت ، لا يذم شيئاً لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له[1] ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها

---

(١) من أمثلة ذلك ما روى عن عائشه ان امرأة من بنى مخزوم سرقت فقالوا من يكلم النبى فيها فلم يجترىء أحد أن يكلمه فكلمه اسامة بن زيد وكان إذا شفع عند رسول الله قبل شفاعته فقال له عليه الصلاة والسلام وقد أخذ منه الغضب كل مأخذ . ان بنى اسرائيل كان اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

إذا أشار اشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه . جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام .

لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن ايطانها(١) واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تذكر فيه العثرات وهو دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح رحيم القلب كثير الحياء رزين الطبع يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحد ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ، اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم من عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافىء ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام ، ولقد أقر عليه السلام الاجتهاد واستنباط الأحكام التى جاءت بها الشريعة الغراء فقد قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن . كيف تصنع اذا عرض لك قضاء؟

---

(١) الدين لله والوطن للجميع . وقد نهض اليوم جماعة ينادون بهذا المبدأ السامى فالفوا عدة جمعيات لهذا الغرض فى أمريكا وغيرها من البلاد المتمدينة رجاء تحقيقه وتعميمه .

قال أقضى بما فى كتاب الله قال . فان لم يكن فى كتاب الله قال فبسنة رسول الله قال . فأن لم يكن فى سنة رسول الله . قال اجتهد رأيى ولا آلو . فضرب عليه السلام صدره فرحاً وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله .

يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة .

وأما أصحابه فأنهم مطمئنين بوعد الله شغلهم الشاغل فى عبادة الله وتأهبهم القدوم على الله وطلبهم مرضاة الله صابرين على الشدائد راضين بالقضاء ، رغبتهم فيما قل من الدنيا وخلقتهم الضيافة ، سبقوا الآخرين بالتوكل واليقين واخلاص العمل والزهد فى الدنيا والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواضع والخشوع وسخاء النفس يقبلون المعذرة ويقيلون العثرة لا يحقدون ولا يحسدون بل يعفون عمن ظلمهم ويصلون من قطعهم ، عملهم على محكم الكتاب فى غير اختلاف ولا تنازع ولا تباغض ويردون ما تشابه منه إلى الله ويعترف أهل النقص منهم لخيارهم ويغتفر خيارهم اساءة مسيئهم وينتظرون به رحمة الله

آخر : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أفضل ممدوح بقولك واشرف داع للاعتصام بحبلك وخاتم انبيائك ورسلك صلاة تبلغنا فى الدارين عميم فضلك وكرامة رضوانك ووصلك .

آخر : لقد اتحفتنا يا ابن خزيمة بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر الرسول تحفة كل مسلم فلك شكرنا وثناءنا

وليس لنا ألا أليك فرارنا
وأين فرار الناس ألا إلى الرسل

الرجـــل : لا شكر على هـذا بل هى عبادة نرجوا الله أن يتقبلها قبولا حسنا وان نصل بها إلى مغفرة الله ورضوانه

الجميـــع : آمين . آمين

الغـــنى : [العاشق] الحمد لله لقد منّ الله علىّ بنعمتين لا استطيع لهما شكراً . منّ علىّ بالاسلام فانقذنى من الضلال والشرك ومن علىّ باسلام حبيبتى فضمن لى السعادة والراحة فى هذه الحياة .

كل هذه نعم لله عز وجل يجب ان اشكرها واثنى عليه من أجلها وأقسم أنى لعاجز عن ذلك على أنى لا أبغى ألا شيئاً واحـدا وهو أن استشهد فى سبيله وأموت فى أعلاء دينه فأنه تعال يقول « أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقـاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » وعداً عليه حقاً . « فى التوراة والانجيل والقرآن »

ولست أبالى حين اقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

آخـــر : فاصبحت همى فى الجهاد ونيتى
فلله ما صومى ولله ما حجى

[وهنا يسمع صوت أذان صلاة العصر]

أحد القوم : وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله رضينا بالله ربا وبمحمد رسولا وبالأسلام ديناً وبالكعبة قبلة وبالقرآن أماما

أحد القوم : حى على الصلاة . حى على الصلاة .

[يهرعون إلى الصلاة وهم يجأرون بذكر الله تعالى]

الفصل الخامس

[هيئة قاعة مظلمة يظهر عليها قدم العهد قد القى فيها أبليس مصفداً مقيداً فى حال رثة وصورة قبيحة ، تظهر عليه التعاسة والبؤس وهو يتكلم بصوت خافت . . . .]

إبليس : هذه هى الساعة التى كنت انتظرها منذ هبطت إلى هذه الدنيا فقد عشت فى الأرض وأفسدت امور أهلها زمنا طويلا .

والآن خضعت كارهاً لقانون الأنتقام فأنا الآن أؤدى للناس ولله ما كان على من الدين .

عصيت الله وخالفت أمره وبثثت بين عباده أعوانى وأنصارى يغوونهم ويقودونهم إلى الشرور اولآثام .

ثم إلى جهنم حتى ملئت حظائرها ولم يبق فيها موضع قدم ألا تلك المنازل التى أعدت لى ولأعوانى !!

فهل هذه القاعة المظلمة التى أنا فيها حفرة من حفر جهنم ؟ لا . لا .

فمالى لا أسمع ضجيج المعذبين وصرير أسنانهم . . ؟

ومالى لاأرى جلودهم تنضج ؟

ومالى لا ألقى من الزبانية ذلك العـــذاب الشديد الذى أنذرونى به منذ أمـــد بعيد ؟

أجل أنى لا اظن أنى ألقى عذابا أشد مما أنا فيه من عتب النفس ووخز الضمير ومن العجز عن القيام والحركة ومن الضعف عن اغواء النـــاس وتضليل عقولهم .

ولكن هيهات ؛ هيهات

أين يكون هذا من عذاب الآخرة . . ؟ فلعذاب الآخرة أشد وأبقى

انى أندم الآن أشد الندم

ولكن أعرف ان هذا الندم لا يفيد

لذلك لا أتوب إلى الله ولا أسأله العفو والمغفرة

فأى فائدة فى طلب المحال ؟

وكيف تصغر نفسى إلى هذا الحد ؟

تلك النفس التى جادلت الله فيما مضى من الزمان عتوا وظلماً وصارحته بالمعصية وأبت عليه أن تخضع لأمره .

كيف تتوب الآن وتعترف بذنبها مهما كانت مخطئة آثمة ومهما كان الخطر الذى يتهددها شديداً ؟

لا لا توبة ولا مغفرة فليفعل الله ما يشاء ولأحتمل ما أنا فيه بصبر وثبات .

عاديت محمداً وأعنت عليه وخذلت الناس عنه ورغبتهم فى أن يثيروا عليه الحروب ويظهروا له السوء ويتولوه بالأذى ففعلوا ولكنهم فشلوا وفشلت فانتشر دين محمد فى مكة ، ثم هاجر إلى المدينة بكره منا ثم أخضع جزيرة العرب وأصلح أمرها فى زمن قليل حتى انهزمنا عنها أو كدنا ننهزم .

ثم مات وقد أتم الله دينه وأكمل شريعته فانتهزنا هذه الفرصة وأتينا إلى القوم من مواضع الضعف فيهم فزينا لهم الردة وحببنا إليهم المروق ، فارتدعامتهم إلا قليـــلا من قريش وثقيف والأنصار وأصبحت جزيرة العرب مشركة بعد أن آمنت وكدنا نعيد الأوثان إلى أماكنها فى غير مكة ولكن واحسرتاه فقد ابى الله الا أن يتم دينه وينصر الذين أحبوه .

فقام المسلمون بعد قليل من التردد وقاتلوا القوم قتالا شديداً حتى ردوهم إلى ما كانوا فيه طائعين أو كارهين ! !

هنالك وثقنا بالفشل وانجلينا عن جزيرة العرب وقلنا حسبنا غيرها من بقاع الارض ولكن ما هى إلا أن أبصرنا جيوش المسلمين تتبعنا فى كل صوب وتطاردنا من كل مكان ، وقد زحفت جنودهم على الفرس والروم وأفريقيا وانتشر دينهم انتشاراً هائلا فكدنا نصعق من هول النازلة ولم ندر أين نذهب ولا من أين نجىء ؟

حتى ظهرت دعوة المسلمين وعم دينهم وعلت كلمتهم فظهرت بذلك الفضيلة وعم العدل وثبت مكانة الحق ونفر الناس مما كنا ندعوهم إليه من الاثم والفجور ومن البغى والزور ومن عبادة الاوثان وتعظيم الكواكب والسجود للنار واضطربت عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى فدخلوا فى الاسلام أفواجا وصلحت سيرة من بقى منهم على دينه خضوعاً للبيئة والوسط فلم يبق لنا مع القوم مقام وقد سدت علينا السبل وضاقت فى وجوهنا الحيل فتفرقنا فى كل صوب ، وما هى إلا أن هبطت قوة هائلة من السماء لا أعرفها ولا أستطيع أن أحيط بها علما .

وانى لتأخذنى الرجفة إذا تذكرتها وتذكرت صوتها المزعج الذى لا يزال يرن فى اذنى قائلا :

لا بقاء لك الآن ! !

هناك لم أشعر بما أصابنى ولم أدر ماذا حل بى ولم أعرف نفسى إلا ملقى فى هذه الهوة ! !

والآن وقد مضى على اقامتى من تلك الرجفة أكثر من ستة قرون أعانى فيها الآلام والهموم وقد انقطعت عنى أخبار الدنيا وأنباؤها ولم أدر أين أعوانى ولا ماذا أصابهم ؟

الآن اتسامل لم لمْ أنظر إلى يوم الدين ، كما سبق لى الوعد بذلك ؟

[هنا يسمع ضجيج هائل وأصوات مختلفة وصرير أسنان . . .] .

ابليـــس : ماذا أسمع لعلهم زباينه جهنم أقبلوا ليقودونى إلى منزلتى من النار ؟
[هنا تقرب الاصوات . . .] .
ان لى بهذه الاصوات عهداً ويخيل إلى انى أسمع زفير جهنم .
[ثم يضطرب ويلتحب]
اذا قد حيل بينى وبين الرجا
[هنا تقترب الاصوات جداً . . .]
ولكن مالى أشعر بشىء من السرور وأرى قليلا من القوة يتمشى فى جسمى الهامد ، وكأن هذه الاصفاد والقيود تريد أن تنحل ؟
ألعلها يقظة الموت ؟
هنا يقرب الصوت ويتبين ألفاظه ويسمع زفير جهنم وصياح الناس ونشيد الشياطين ، ثم يثب جالساً وقد انحلت قيوده . . .
ماذا اسمع . . . ؟ نشيد الشياطين اذا فقد انتصرنا ! !
[هنا تظهر جهنم من الداخـــل وقد اكتظت بالناس وهم يصيحون ويبكون ، والشياطين ينشدون بسرور ، ثم يتسابقون إلى ابليس فيحيطون به]

ايه دار الجحيم قد أتاك الوقود
بين عاص أثيـــم وكفور جحود
فاحمـــدى للجنـــود جدهم فى العمل

* * *

قـــد رفعنا الضلال وخفضـــنا الدين
ونشرنا المحال وطوينا اليقـــين
ما ترى من مثال للنجـــاح المبـــين
قد ملكنا الوجود بعد ذاك الفشل

ابليـــس : ويحكم ماذا جرى ؟

الشياطين : لم يجر إلا ما كنا نتنظره ، وهو الانتصار ورجوع دولتنا إلى ما كان لها فى سابق الدهر من الصولة والسلطان

ابليـــس : [بصوت الدهش] وكيف كنتم تنتظرون ذلك وهل ما أنبأتمونى به صحيح وهل أنتم أكثر منى أملا وأشد قوة ؟

فقد استولى علىّ اليأس وشملنى العجز والضعف فأيقنت بأن ما كنا فيه ليس إلا بعض اشراط الساعة .

أحد الشياطين : أما ما أنبأناك به فهو حق لا شك فيه ولا نحتاج إلى اقامة الدليل عليه لان الدليل ظاهر محسوس وهو جهنم هذه التى تضيق بأهلها وسكانها ، وأما انتظارنا لهذا وقوة أملنا فليس شيئاً جديداً فقد تعلمناه منك قبل الآن بآلاف السنين ، فكثيراً ما حاربنا الانبياء وصارعنا الصالحين وكدنا للأمم الراقية فأسقطناها وقدناها إلى السعير .

والذى يجب أن يدهش له هو ما قلته من استيلاء اليأس عليك وذهاب الضعف بما كان لك من حول وقوة ، فقد عودتنا فى مثل هذه المواقف كثيراً من الصبر والاحتمال ومن المكر والاحتيال ومن شدة الشكيمة ومضاء العزيمة وذكاء القلب وحصافة الرأى فأين ذهب عنك جميع ذلك ، وكيف غاب عنك ان للحق جولة يمحوها الباطل ويذهب بها الاثم والزور وان الدولة فى هذه الحياة الاولى ليست إلا لنا وان الدهر إذا أعوج علينا يوما فسيعتدل ، وان قسا ساعة فسيلين .

ابليـــس : نعم ان ما قلته حق ولأمر ما لست أعرفه كان ما كان من ضعفى وعجزى ومن خمولى واستكانتى ولا اخفى عليكم أيها الأعوان انى لا أزال حائراً دهشا من رجوع دولتنا ومن انتصارنا على دين محمد .

فهل يستطيع أحدكم أن يقص علىّ حديث ذلك ويبين لى الحيلة التى اتخذتموها فى استرداد مكانكم الرفيع ..؟

الشياطين : (بصوت واحد) ليست حيلة واحدة بل هى حيل كثيرة ، لكل منا حيلة اصطنعها وسبيل سلكها وسنحدثك بالأمر متعاقدين يتلو بعضنا بعضاً !!

ابليـــس : حسناً

[يتقدم إليه شيطان بارز النابين طويل الأظفار مخضب بالدماء . . .]

ابليـــس : حدثنى بحديثك فقد علمت أنك صاحب السهم الأوفر فى كل داهية والنصيب الأكبر من كل نازلة .

الشيطان : [ضاحكا بصوت مزعج] نعم انى سأحدثك وان حديثى لعجيب ، فلعلك لم تنس تفرقنا عنك وفرارنا من حولك بعد انتصار المسلمين على البلاد المختلفة وبعد أن ضاقت علينا الارض بما رحبت ، فلم نجد لنا ملجأ وبعد أن شملنا الزهول وكاد يغلب علينا الجنون ، وما كاد يمضى على ذلك حين من الدهر قليل حتى افقت لنفسى وتذكرت سابق أمرى ، وحزنت أشد الحزن على ما كان من سقوط دولتنا وذهاب صولتنا وانمحاء سلطتنا فأعملت الفكرة وقلبت وجوه الحيلة ، فاهتديت إلى وجه الصواب وعرفت أن السبل الى غايتنا ممهدة وأن الطريق إلى نصرنا واضحة .

فقطعت الى بلاد العرب لجج البحار وأجواز القفار حتى وصلت الى يثرب أيام عمر .

حيث العدل منتشر والحق مؤيد والدين ظاهر سائد الكلمة . هناك القيت رحلى فى منزل بعض الفرس الذين هاجروا الى المدينة وزعموا أنهم مسلمون

ابليس : ومن هم اولئك الفرس ؟

الشيطان : هو رجل كان من امرائهم وأولى قوتهم ، فحاربه المسلمون وغلبوه ، ثم صالحوه فغدر وأعاد ذلك معهم مرات حتى انتصروا عليه نصراً مؤزراً وأسروه وبعثوا به إلى المدينة

وهناك أسلم وزعم أنه قد تاب وأناب وأصبح من عباد الله الصالحين واسم هذا الرجل الهرمزان . . .

فقد نزلت عليه وأوقعت فى قلبه حب اثارة الفتنة وتفريق الأمة والانتقام للدولة البائدة والسلطان المندثر فوجدت منه قلباً فارغاً ورأياً موافقاً وما هى الا ان دعا اليه يهودياً زعم انه مسلم

ابليس : أظنه كعب الأحبار

الشيطان : نعم هو بعينه . دعاه الفارسى فاستجاب له ودبروا أول أساس للفتنة وهو قتل عمر فاغروا به عبداً فارسى الأصل يقال له ابو لؤلؤة فقتله وهو فى صلاة الصبح ، ومات عمر فاضطربت أمور الخلافة لا سيما وأعلام قريش كانوا يتنافسون ، وقد كان عمر وضع لهم قاعدة معروفة لانتخاب خليفة مكانه للأمة فانتخب عثمان بن عفان ومن ذلك الوقت بدأت فى تحقيق أملى وادراك غايتى ولم أجد عدة لذلك الا الفرس واليهود .

ورأيت ان فى قريش رجلين يتنافسان أشد المنافسة وهما على وعثمان فرأيت أن أهدم دولة العرب باسم هذين الرجلين

فأسست لعلى شيعة يرأسها رجل من اليهود زعم انه مسلم يدعو الى الله وهو عبدالله بن سبأ ، فلم يزل هذا الرجل ينتقل فى الأمصار ويرتحل من اقليم الى اقليم حتى التقى رحله بمصر ، وهى كما تعلم ملجأ لأمثاله من المفسدين المضلين ، وقد كان مما أعاننا على غرضنا أن الاسلام لا يفرق بين السياسة والدين فأوقعت فى نفوس القوم أن أقل خطأ فى السياسة هدم للدين وقضاء عليه ، وأوقعت فى نفس فريق منهم أن الخليفة يجب أن يكون معصوماً كالأنبياء وأن لكل نبى وصياً ووصى محمد على أمته هو على بن أبى طالب وقد عممت الكلمة بذلك والدعوة اليه فتفانى الناس فى حب على وبغض عثمان ولا سيما أهل الأمصار والثغور الذين هم حديثوا عهد بالدين وقلوبهم فيه لا تزال ناشئة . . .

فأخذ ابن سبأ وأنصاره يألبون الناس على عثمان ويشيعون مقالة السوء عن امرائه وعماله فما هى الا أن فشت فى الناس المقالات المزعجة والمخازى

المنتحلة المكذوبة على عثمان وولاته ، واخترعوا على الرجل أشياء هو بريء منها وزعموا أنه استحق بها القتل .

فاجتمعوا من كل مصر ونوافوا بالقرب من المدينة وساروا فحاصروا عثمان فى داره .

ولقد كان من السهل على أعلام قريش أن يهدوا هذه الطائفة المارقة ويردوها إلى الحق ولكنى سعيت فأوقعت الفتنة بينهم وبين عثمان واوقعت فى قلوبهم بغضه والقعود عن نصره

فلما كان الحصار خذلوه وتلكأوا عنه وما هى الا أيام حتى قتل الرجل فى بيته وحتى وقعت الفتنة وعمت الفرقة ، فبايع الثائرون عليا وبايعه طلحة والزبير ثم استأذناه الى مكة فأذن لهم وهناك التقوا بعائشة أم المؤمنين فأخذوها وشخصوا الى البصرة ليطلبوا بدم عثمان وكانت بينهم وبين على حرب سيئة العاقبة ، فانتصر عليهم على آخر الأمر ولكنه وجد فى الشام عدوا ألد وخصما أقوى ، وهو معاويه فقد تحزب له أهل الشام وأقسموا لايغمدون السيف أو يأخذوا ثأر ابن عمه ذلك الخليفة المقتول .

فقامت بينهم حرب صفين ، تلك الحرب التى أفنى فيها المسلمون بعضهم بعضاً فقد ذهب من جنودهم مائة الف ارضاء لهوى ذينك الرجلين

فلما اشتد الأمر على معاوية وكاد ينهزم زينت له أن يأمر الناس برفع المصاحف على الرماح ودعوة على الى كتاب الله ففعلوا وهناك انخذل عن على أصحابه وأقسموا لتجيبن القوم الى ما طلبوا أو لنسلمنك اليهم فاجابهم وحكموا بينهم رجلين .

وهناك خرج على على جماعة من أصحابه زعموا أن لا حكم ألا لله واستباحوا دماء المسلمين ونساءهم وامـوالهم وأبناءهم فانقسمت الأمة إذ ذاك ثلاث فرق واجتمع الحكمان فخلعا عليا ومعاوية ، وتركا للأمة أمرها تنتخب من تشاء . فانتخب أهل الشام معاوية ولم يخضع على لحكم الحكمين ، وبذلك تم انقسام الأمة واذكاء نار الفتنة .

فدان أهل الشام بتكفير على ودان أصحاب على بتكفير أهل الشام ودان الخوارج بتكفير الحزبين جميعاً

وقوى كل حزب من هذه الأحزاب ورأى من الواجب عليه الزود عن رأيه بالسيف .

ولكنى لم أنته الى الآن من تمثيل دورى فقد عرفت ان عليا اذا انتصر رد الحق الى نصابه ، فخذلت الناس عنه وحببت اليهم الخول والدعة وأخذ معاوية يغير عليه وينقص أطراف مملكته حتى لم يبق له منها إلا قليلا .

ثم ائتمر الخوارج بعلى ومعاوية وابن العاص ليقتلوهم ، فتمت الكلمة على علىّ ونجا الآخران وبهذا انقضت دولة الراشدين وأصبح الأمر ملكا عضوداً تعرض فيه المفسدة ويعم به البلاء . ثم أنشأت اؤلف الأحزاب الأخرى وأسير الفتن المختلفة حتى نلت من الأمة فى زمن قليل ما لا يناله فى عشرات القرون

وجملة القول انى جعلت بينها وبين حقيقة الدين حجاباً كثيفاً حال بينها وبين النـــور الذى يهديها سواء السبيل ، فجعلت تخبط خبط العشواء حتى عادت الى جاهليتها الجهلاء وضلالتها العمياء

وإلى هنا يا مولاى الرئيس تركت العمل لغيرى من الشياطين الذين اتفتحت لهم أبواب الشر فساروا آمنين غير خائفين ومطمئنين غير وجلين

إبليس : أنى لاأجد من ألفاظ الثناء والحمد ما أكافئك به على جميل عملك وحسن صنيعك فاحتسب ذلك على ما ستناله من الرفعة فى مستقبل الأيام .
وليتقدم إلى منكم من أبلى مثل هذا البلاء أو دونه .

[يتقدم اليه شيطان بشع الصورة يظهر عليه المكر والدهاء . . .]

الشيطان : هأنا ذا يا مولاى الرئيس شيطان الطريق .

إبليس : أى طريق ، أتريد السبل وهل كنت قاطعاً للطريق على الناس ؟

الشيطان : (مقهقهاً) لا . انما الطريق لفظ عام يدل على معان بعضها ما سأحكيه لك الآن .

إبليس : أرجو أن تفسر الغامض من قولك فقد يخيل إلى أنكم قـــد اصطلحتم على أشياء لم يكن للناس بها عهد .

الشيطان : نعم ان الطريق يا مولاى الرئيس هى عبارة عن أن يتوسط الرجل بين العبد وبين ربه .

إبليس : وكيف يمكن هذا عند قوم ينطق دينهم بمنع الشرك ورفع الوثنية وتكفير القائلين بالواسطة ؟

وهل معنى هذا إلا ما كانت تزعمه قريش من وساطة الأوثان بينها وبين الله حتى رد عليهم القرآن بقوله « وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقوله « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » .

الشيطان : نعم أن كل هذا حق غير أن الحق كثيراً ما يخالف الواقع ، وكيف يتفق الحق مع الواقع ونحن على الأرض نفسد فيها ونعبث ونضل أبناءها ونوقع فى قلوبهم الغرور ؟

إبليس : بين لى كيف سلكت السبيل إلى هذه الغاية ؟

فأنى أرى أنك قد أرجعت عهد قريش ووثنيتها وكأنى بالأصنام قد نصبت على الكعبة من جديد .

الشيطان : لا يا سيدى عندنا ما هو أمر من الأصنام وهى قبور الأولياء والصالحين فاستمع لأقص عليك .

إبليس : هات

الشيطان : أنى لم أخترع طريقتى هذه إختراعاً وإنما مهدلى سبيلها شيطان السياسة فأنه كما تعلم قد قسم الأمة أحزاباً وفرقاً وكان من هـذه الأحزاب حزب الشيعة وهو الحزب الذى دخلت أنا فيه فقسمته فرقاً لا تحصى واصطفيت لى من

تلك الفرق أضلها عن الحق فوضعت فى قلوبهم أن للقرآن نصاً وتأويلا وأن الدين ظاهراً وباطناً وأن محمداً قد جاء بالظاهر وأن المهدى سيجىء بالمأول وأن التكليف انما هو لعامة الناس فأما خاصتهم فقد رفـــع عنهم التكليف والحرج فهم فى حل من انتهاك الحرم واقتراف الآثام لأنهم قد عرفوا الله وعرفهم فهم أصدقاؤه الذين ليس بينهم وبينه حرج ولا كلفة وأن هؤلاء الناس الذين يسمون أنفسهم الخاصة ويزعمون أنهم غير مكلفين هم هداة الأمة الذين يرشدون الناس إلى الحق ويوصلونهم إلى الله فتراهم يلقنون الناس ألفاظاً يهزون بها ويأخذون عليهم عهـــوداً ومواثيق على السمع والطاعة ، وقد جعلت فى قلوب هؤلاء الناس أنهم طلاب سياسة ، يطلبون أن يرجعوا دولة الفرس كما كانت قبـــل الاسلام متسترين بحب أهل البيت .

فكانت لهم دولة فى أفريقيا وأخرى فى الفرس ومنهم من هاجم مكة وأسر أهلها وسبا بناتها ونساءها وقتل الحجيج وأخذ الحجر الأسود وما هى إلا سنين حتى استحال هذا المذهب السياسى الى مذهب دينى وأصبح الناس جميعاً له خاضعين فكلهم يسعى إلى شيخ الطريق ليأخذ عنه العهد ويتلقن منه الاسم الذى يوصله إلى الله .

وقد وضعت فى نفوس الناس أن هؤلاء الأشياخ هم أقطاب الكون الذين يقسمون الحظوظ بين النـــاس وما كان هؤلاء الأقطاب فى الحقيقة ألا نفراً مشعوذين وقد حببت إلى الأمة أن ترفع لكل ميت منهم قبراً يطاف به وقبة تزار فلم يبق بلد أو قسم من بلد ألا وفيه شيخ أو إله صغير .

ابليس : تلك أيضاً مقدرة مدهشة وبراعة نادرة فلله درك ولله أبوك .

[ثم يشير الى الشياطين] .

أيكم أبلى بلاء حسنا كهذين ؟

[يتقدم اليه شيطان أشيب يظهر التفكير والتؤدة . . .]

ما خطبك ؟

الشيطان : أما أنا يا مولاى الرئيس فمفسد أفكار الأمة ومضلل عقولها وصابغ دينها صبغة الوثنية ومقيم الأدلة على الباطل ومثير الشبهة على الحق وقاسم الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة لكل عقيدة ولكل دين ، وكل يكفر بعضهم بعضاً .

ابليس : أنى لا أصدق ما أسمع وكأنني فى حلم وكأنما تحدثونني بالمعجزات فكيف تنقسم أمة يقول كتابها « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

الشيطان : لا تسأل عما وقع فأنه قد أصبح لا يحتمل الشك ولا النزاع وتأكد أنى سلكت طريقة جديدة وهى التى سلكتها فى افساد المسيحية وتقسيم أهلها فرقاً وأحزاباً فأنت تعلم أن لليونان فلسفة

ابليس : وهل سلك القوم هذا الطريق ؟

الشيطان : نعم قد سلكوه فقد كانت أحزابهم سياسية بادىء الامر ، ثم أخذت تستحيل الى أحزاب دينية وبعد أن سئموا الحروب ولجأوا الى المناقشة اللفظية واحتاجوا الى الادلة والحجج أغريتهم بالفلسفة وحببتها اليهم .

فنبغ منهم المترجمون والباحثون وأخذوا من الفلسفة الغث والثمين ومزجوا ذلك كله بالدين .

فنشأ مذهب التعصب للآراء وانقسموا شيعاً وانحى بعضهم على بعض وانتصر لكل شيعة خليفة وأعقب ذلك جمود أفكار الامة وبغضها للفلسفة والبحث وأصبح الناس الآن يعدون الباحث عن الحق كافراً وقضى على الأمة بالسكون المطلق حتى رجعت الى عهدها الاول لا تعرف من الدين الا اسمه ولا يدينون الا بالخرافات .

ابليس : هذه الاسباب الثلاثة تكفى لاسقاط الامة من شامخ مجدها مهما كانت قوية عزيزة .

الشياطين : [جميعاً] لا بل هناك أسباب أخرى لم تسمعها بعد .

ابليس : فقصوا على منها مع الايجاز ما يكفي لاقناعي على أني قد اقتنعت .
[يشير الى أحد الشياطين] .
وأنت ماذا فعلت ؟

الشياطين : أما أنا فشيطان الحرب المهلكة للنفوس ، المفنية للأجسام ، العابثة بالامم ، المسقطة للدول ، اللاعبة بالهـــام ، كأنها أوراق الاشجار ، الفاجعة للأم بوحيدها ، والمرأة بزوجها ، وللأخت بأخيها ، الثالة للعروش الذاهبـــة بالاموال الناقلة عمران القصور الى خراب القبور ، المقدمة الى جهنم في كل يوم قرباناً لا يحصيه العد ولا يناله التقدير ؛ المروية للأرض بالدماء لتنبت البغضاء والشحناء وتحصد البوار والدمار ! !

نعم أنا شيطان لا كالشياطين ومفسد لا كالمفسدين قد اتخذت من العلم جهلا وأنبت من الخير شراً واستخرجت من الفضيلة رذيلة وانتهيت بالرقي الى الانحطاط ؛ حببت اليهم الابداع والاختراع لاعزاز الوطن وحمايته فأبدعوا ما شاء العلم واكتشفوا ما شاءت غوايتي من مدمرات للحصون مهدمات للقلاع تهزم ولا هزيم الرعد وتعصف ولا عصف الزوابع ؛ وتثور فلا يقنعها المئآت من الناس تقطعهم اربآ ، ولا يرضيها الشامخ من البناء تدكه دكاً ، فبعد ان كان غواة العرب يفتخرون بأن أحـــدهم ينتظم الفارسين في طعنة واحـــدة أصبحت هذه المدمرات تنتظم المئآت في طلق واحد .

نعم وقد اتخذوا البحر ميداناً يترامون فيـــه بالنار ويتقاذفون فيه بالقنابل حتى لا يحتاج القتيل الى دافن وحتى تجد بنات البحر طعامها سهلا ميســـوراً .

نعم وقد زاحموا الطير في السماء واتخـــذوا مهلكات تصب عليهم العذاب من فوق رؤوسهم حتى لا يجدوا له مرداً .

كل ذلك اخترعته وبنيته على قواعد العلم وأصول الفضيلة بعد أن أصغرت شخص الحق حتى كاد يفنى وأكبرت شخص القوة حتى لا تكاد تأخذه العيون وسحرت القوم بفنون من القول رائجة وأباطيل من الزخرف محمودة فلا يلبث الفيلسوف الحكيم أن يكون وزيراً مصلحا حتى يكون رسول الهلاك إلى الأمم وشيطان الفناء فى الشعوب.

أحييت الوحشية البشعة وجلتها بثوب المدنية الجميلة أيقظت حب النفس وألبسته ثوب الوطنية أكبرت شخص القوة ونقبته بالتوازن الدولى فليس يمر عليهم يوم إلا وهم ينتظرون أن يدور عليهم الفلك أنحس دوراته ويطلع عليهم النجم شر مطالعه ؛ ويأتيهم العذاب من حيث لا يحتسبون فأن شئت فانظر فى البر والبحر تجد قوما قد عكفوا على الشر يعبدونه وصبوا إلى القوة يمجدونها وشعوبا تنتحل الحرية ولا تلبث أن تساق إلى الموت أرضاء لشخص الملك أو إطاعة لأمر الوزير.

على أن سياحة منك تقوم بها بعد الآن كفيلة بأن تظهر لك فضلى وتبرهن على مهارتى.

ابليس : مازلت أعلم أنك داهية فى الخبث لا تبارى ولك منى المكافأة الحسنة بعد

[يتقدم اليه شيطان آخر بشع الصورة عليه ملابس سوداء . . . .]

الشيطان : وأنا يامولاى شيطان المآتم وعملى قليل المؤنة ينحصر فى أن أعمد إلى الرجل يموت له الميت فأغريه بأشياء لا أصل لها فى دين ولا يبررها عقل على أنها مذهبة للثروة مفسدة للأخلاق.

يموت الرجل فأذا أريد تشييع جنازته أوقعت فى نفس أهله أن الجنازة لابد أن تشيع بما تستحق من أجلال واكرام فتحف بانواع الزينة وصنوف الحلى ويسعى أمامه الناس أفواجا وهم يجأرون بالذكر ويرفعون أصواتهم بالقرآن وقصائد الشعر ولهم فى ذلك طرق يظنونها محزنة وهى فى الحقيقة

مضحكة ويتقدمون بالمجامر وأنواع الطيب فيعيدون بذلك سنة المجوس ويتبعهم النساء شاهقات ناهقات قد شققن ثيابهن وخمشن وجوههن وضربن الصدور والأصداغ واتخذن السواد وصبغن جلودهن به ورفعن الاصوات بكلمات من سخف القول وهراء الحديث .

وبين هذا وذاك يامولاى تنتهك الحرم والأعراض فيجد فتيان السوء وفتيات الخنا من تلك الغوغاء مروجا لبضاعتهم السيئة فلله اللحظات والغمزات وما يجرى هنالك من منكرات

فإذا انتهوا إلى القبر دفن الميت وقام على قبره رجل من العامة فجعل يخطب بآيات محرفة وأحاديث مصحفة وكلمات هى الكفر بعينه وهو يزعم أنه يلقن الميت جوابه الذى يجب أن يقوله للملكين إذا سألاه ويزعم أن الميت له سامع وعلى قوله حريص والكتاب بين أيديهم ينطق بأن الموتى لا يسمعون ولا يبصرون .

حتى إذا رجعوا إلى البيت أقيمت السرادقات والخيام وجلس فيها وفود المعزين يدخنون وبينهم نفر من حسان الأصوات يرتلون القرآن ترتيلا يغير معناه ويخرج به عن معنى الدين إلى الغناء .

فكم ترى هناك من خلاعة فى الصوت وحركات فى الترتيل والنغمات هى أحق بالمغنيات لا بالمغنين فضلا عن القراء

أما فى صبيحة النهار فتقام حفلات الحزن التى يقيمها النسوة وهى تنحصر فى أفانين من الهزل بين لطم الوجوه وضرب الصدور والقفز والوثوب وبين هذا وذاك أقوال باردة تلقيها النادبة .

هذا هو مجمل الأعمال التى يقوم بها أهل الميت أياما طويلة بعد موته ولا تسل عما يذهب فى سبيلها من المال وقد يكون صاحب الميت أحوج ما يكون إلى قوت يومه ولكنه يرهن ويستدين ويبذل ماء وجهه للناس مخافة اللوم إن قصر فى هذه العادة المنكرة .

ولئن سألت يا مولاى عن مصدر هذا كله فليس له أصل إلا وثنية القدماء من المصريين ، تلك الوثنية التى نبذها الاسلام فى أول أمره ولكن أهله لم يلبثوا أن رفضوه وقبلوا هذه العادة منا صاغرين .

ابليـــس : لله أنتم من مكرة فجرة فقد أتيتم من المعجزات ما لا يكاد يطمئن إليه عقل ولا يرتاح إلى تصديقه ضمير .

[يتقدم إليه شيطان آخر حسن الشكل عليه ملابس حمراء . . .]

الشيطان : أنا يامولاى الرئيس شيطان الأفراح ولست أفعل شيئاً إلا أن أحذو حذو شيطان المآتم فى أغراء الناس فى التبذير وتحبيب السرف إلى نفوسهم فلا ترى أحدهم يهم بزواج أو نحوه مما يبعث على السرور حتى يقيم الحفلات الضخمة وينفق الأموال الطائلة فى أشياء لا قيمة لها على أن فيها كثيراً مما يخالف أصول الدين ويشذ عن قواعده .

وجملة القول إن الافراح الآن أصبحت سبيلا إلى ضررين كبيرين يستتبعان ضرراً ثالثاً .

الأول ضياع الثروة

والثانى فساد الدين وكلا الأمرين يستتبعان فساد الاخـــلاق فتكثر الخصومات ويزيد الفقراء وفيهم اللصوص والمتشردون الذين يختل بهم الأمن ويشقى المجموع .

ابليـــس : وهذه أيضاً حيلة نادرة قد أحسنت التأدية إلى المقصود فلك الشكر .

[يتقدم إليه شيطان آخر بشع الصورة جداً . . .]

الشيطان : انى يامولاى لا أكثر اللوم على أصحابى فى الاسراف فى المآتم والأفراح فأن ذلك يصدر عن باعثين كبيرين فى النفس هما الحزن والسرور وانما اللوم كل اللوم على أولئك الذين استطعت أن أقودهم باســم الزار إلى حيث اريد .

ابليـــس : وما هذا الزار فانى لم أسمع به من قبل ؟

الشيطان : الزار يامولاى هو عفريت خيالى يلبس المرأة وربما لبس الرجل أيضاً فيحملها على نسيان أنفسها وإتيان الأعاجيب والأكاذيب من الرقص والقفز والاستماع للطبول والزمور والتفنن فى اتخاذ الزخرف .

وأصل هذه البدعة على لا شك فيه وهو أن الانسان قد يعتريه مرض عصبى وقد ينجح فى دواء هذا المرض سماع الموسيقى والطبل وهذا شيء قد قرره العلم ولم يبق للشك فيه مجال .

فكما أن الثعبان يتشنج إذا سمع الطبل والموسيقى كذلك الانسان يتأثر من هذين الشيئين تأثراً يختلف باختلاف مزاجه .

فمن الناس من تتشنج أعصابه للطبل والموسيقى ومنهم من يعتدل مزاجه ويستقيم أمره .

ومن هذه القاعدة النافعة استنبطت للناس تلك البدعة السيئة فأغريت معظم النساء بانتحال هذا المرض وأوقعت فى نفوس الناس ان مصدر هذا المرض انما هو تلبس الجن بالأنس وأنه لا دواء له إلا استحضار الجن بالطبل والزمر حتى إذا حضروا وجب ان يسألوا عن السبب فى اصابتهم لهذا المريض وعما يطلبونه اجراً لمبارحته .

وقد اخترعوا لذلك أساليب وأفانين من الغناء والمقاطيع تناسب ما تخيلوه فى الجن من قبح الصور والأصوات .

فإذا مرضت المرأة ولو باصبعها زعمت لزوجها أن أسيادها الجن قد ركبوها وانها فى حاجة إلى إقامة حفلة هائلة تذهب فيها أموال كثيرة طائلة ويجرى فيها الرقص وما يتبعه من المخزيات .

وقد يكون الغرض من هذه الحفلة مقصوراً عل ما يكون بين الرجل والمرأة من الأعمال السيئة فيختلط الحابل بالنابل والمريض بالصحيح

وحسبك أن محضر العفريت قد يكون رجلا فى أكثر الأحيان فتراه يدق الطبل ويلقى المقاطيع والنساء حوله يرقصن ويتثنين تثنى الأغصان وحول ذلك جماهير النظارة يستجلون جمال هذا المنظر المضحك المثير للعواطف السيئة

وقد كان هـــذا المرض مقصوراً على السيدات وكانت طريقة دوائه شرقية صرفة ولكنه أخذ يترقى مع الزمان حتى عم الرجل والمرأة وحتى أصبح له من الدواء طرق حديثة غربية فبعد أن كانت العفاريت سودانية أو حبشية أو مكية أصبح منهـا الآن عفاريت تركية وفرنسية وإيطالية وأصبح لعفاريت الفرنج محضرون متفرنجون .

ومما يجب أن يلاحظ أنى قد أوقعت فى نفوس الناس أنه يجب أن يكون بين العفريت وصاحبه اختلاف فاذا كان المريض رجلا وجب أن يكون عفريته جنية وإذا كان المريض امرأة وجب أن يكون عفريتها شيخاً كبيراً من شيوخ الجن ليحسن الاقتران بين المريض ومصيبته .

ومن حسن الحظ أنى قد وفقت فى هذا العمل فضللت به الناس جميعاً حتى المتعلمين سواء كانوا من رجال الدين أو شبان النهضة الحديثة فأما الأولون فيستدلون عليه بأحاديث يروونها وأقاصيص ينتحلونها وأما الآخرون فيستدلون على ذلك بعلم ما وراء المادة من التنويم المغناطيسى واستحضار الأرواح وغير ذلك .

وجملة القول يامولاى أنى قد ملكت قياد الجميع وان هذه البدعة تحدث فى نفوس الناس آثاراً سيئة لا تكاد تحصى أخصها افساد الدين والأخلاق واضاعة الثروة والأعراض .

ومع ذلك فمن اليسير علينا أن نطلع مولانا الرئيس الآن على ذلك إن أراد وشاء .

إبليس : وكيف ذلك ؟

الشيطان : تمثل هذا الدور فيزعم أحدنا أنه مريض وأزعم أنا أنى عفريته والباقون يطبلون ويزمرون لاستحضارى .

إبليس : لا بأس ولكنى سأرى ذلك رأى العين أثناء تفقدى لأحوال الناس وحسبى أن النتائج المرجوة قد حصلت كما نريد .

[يتقدم اليه شيطان آخر حسن الشكل جميل الهندام . . .]

الشيطان : وأين أنت منى يامولاى الرئيس ؟

إبليس : [ضاحكاً] وهل كان لك دور أيضاً مع أهل هذا الدين الذين يشدد عليهم كتابهم فى العفة والاحتفاظ بالفضيلة ويأمر الرجال والنساء منهم بغض الأبصار واصطناع الحياء ؟

الشيطان : وهل تبقى فضيلة مع وجودنا ، وكيف تبقى الفضيلة وقد ملكنا نفوذ المرأة منذ أول عهدها بالوجود ؟

إبليس : إن الأسلام قد أصلح أمر المرأة وحررها من رقنا وأول من أنصفها وقرر لها حقها فى الحياة وفرض عليها التكاليف مثل ما فرض على الرجل فساوى بينها وبينه فى كل شىء إلا ماتقتضية طبيعة المرأة ووظيفتها فى الحياة وجعلها شطر المجتمع وجاء الاسلام يخاطب بالتكاليف الدينية الرجال والنساء على السواء وقرر لهن حقهن فى الحياة الدينية والاجتماعية ويعدهن بحسن الجزاء فى الآخرة فنبغت المرأة المسلمة وساهمت بنصيب وافر فى الدين والسياسة

وها هى أسماء بنت أبى بكر حين دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير والحرب مستعرة بينه وبين بنى أمية يتعرف صبرها على فقده وقال لها يا أماه خذلنى الناس حتى أهلى وولدى ولم يبق معى إلا قليل وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فماذا ترين ..؟

قالت أرى أن تخرج إلى القتال ما دمت تعتقد أنك على الحق فوالله لضربة بسيف فى عز أحب إلى من ضربة بسوط فى ذل فقال لها ولكنى أخشى

أن يمثلوا بى بعد الموت قالت إن الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ . وها هى الخنساء ينعى اليها أولادها الذين ماتوا فى القتال فتستقبل النعى مطمئنة وتقول الحمد لله الذى شرفنى بشهادتهم فى سبيل الله وقد رأيت المرأة فى حروب الفرس والروم تبلى البلاء الحسن ولعلك لا تنسى أن المرأة هى التى هاجمت جيش القادسية على كثرته .

الشيطان : نعم إنى لا أنسى ولكن كيف تنسى أنت أن الحضارة والترف يفسدان أخلاق المرأة ويردانها إلى السكون والانعكاف على اللهو وإنى لم أفعل أكثر من تحبيب الزينة إلى المرأة واختراع الأفانين فيها حتى تركت شؤون المنزل وتربية الأبناء والبنات وأصبح كل همها أن تعجب الرجل والرجل من طبيعته ميال إلى اللهو نزاع إلى الفتنة فكان من تلك الزينة ومن هذا الميل الطبيعى فساد الأمة وأصبحت المرأة كعهدها فى العصور الأولى ، فقد نسيت نفسها ودينها وأضاعت حقها فى سبيل اللذة واعترفت للرجل بأنها ليست إلا أداة فى يده يتصرف فيها كيف يشاء وقد حمد الرجل منها ذلك وضرب بينها وبين العلم النافع بسور منيع ففسد من ذلك أمر المنزل والدولة وأصبح حال الأمة يسرنا جداً وأن أغضب الله ورسله والملائكة .

وفى هذه الأيام الأخيرة أخذت المرأة المسلمة تحس بأن لها حقاً مهضوما فلم أترك لها سبيلا إلى البحث والتنقيب بل حببت اليها وإلى الرجال طريقة المرأة الغربية وأنت تعلم ما فى هذه الطريقة من الفساد .

وعلى الجملة فقد انقسمت المرأة المسلمة قسمين .

قسم بقى على حاله القديمة لا يشعر ولا يحس وقسم أخذ بالأساليب الغربية لا يفرق بين الحسن منها والقبيح .

أما السبل الواضحة المأمونة فقد طمستها ومحوت معالمها ولم يبق الى الاهتداء فيها طريق .

إبليس : إذا فقد أفلحنا كل الفلاح فى جميع ما نحتاج اليه من طرق إفساد الأمـــة وأصبح عملنا مقصوراً على أن نسوق الناس إلى جهنم .. » ثم يقف»

الشياطين : [يضجون] ان لنا أعمالا أخرى يجب أن تعنى بها وتلتفت اليها .

إبليس : حسبنا ما سمعناه فما أظنكم أتيتم بشىء جديد .

الشياطين : [بجلبة شديدة] كلا ، كلا .

إبليس تـكلموا منفردين فأنى لم أوهب آذانا بعددكم .

[يتقدم اليه شيطان ذو قرنين كبيرين . . .]

الشيطان : أنا يامولاى شيطان القيادة وقد أسقطت فى نفس المسلم قيمه الفضيلة وعلمته التهاون بها والازدراء لها والاطراح لكرامة نفسه حتى لا يأنف من أن يقود غلاما إلى فاسق أو فتاة إلى زان ولم أجعل ذلك مقصوراً على فرقة خاصة من النـاس بل أوقعت فى نفس كثير منهم أن للصديق على صديقه ثلاثاً منها القيادة .

ولو أنك اطلعت الآن على منازل اللهو والاثم ومواطن الغى والفجور لرأيت كـثيراً من الشبان النجباء يتقارضون الفحش ويتبادلون القيـادة لا يأنفون من ذلك ولا يتبرمون به بل يأتونه كما يأتون معروفاً من الأمر غير منكـر وممدوحاً من الفعل غير مذموم ولهم فى ذلك فنون كـثيرة ومذاهب مختلفة وأشارات متنوعة .

ولو شئت أن أسرد عليك فنونهم فى ذلك لأطلت حيث يجب الاقلال

إبليس : مرحى . مرحى بمهارتك .

[يتقدم اليه شيطان جميل الصورة ذو قرن واحد . . .]

الشيطان : أنا يا مولاى شيطان الغلمان .

إبليس وماذا فعلت ؟

الشيطان : لم أفعل شيئاً كثيرا فقد رأيت تربية الشبان فاسدة لفساد المرأة فوضعت فى نفوسهم حب التشبه بالنساء والميل إلى الترف والفجور

ولو سمعت احدهم يتكلم بتظرفه من وراء حجاب ماشككت فى انك انما تسمع فتاة تتكلم

[الشياطين جميعاً يقهقهون]

ابليس : [يشير إلى أحد الشياطين] وأنت ماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا يامولاى شيطان الأزياء

ابليس : وماذا تصنع بالازياء ؟

الشيطان : لا أصنع بها شيئا ولكنى أثير فى نفس الأنسان ميله القديم الوحشى إلى حب الزينة وايثارها على المنفعة الحقيقية فأنك تعلم أن فى متوحشى الهند من يفضل ابتغاء الأشياء التافهة من أدوات الزينة على الأشياء النافعة من ضروريات الحياة فتراه ينفق مالديه من المال فى سبيل أن يملأ جسمه بالوشم والنقش وهو مع ذلك لا يبالى أن يظهر للناس عاريا بادى السوأة وترى من متوحشى السودان من يفضل شراء الخرز على شراء الملابس ويفضل شراء الاحمر من كل شيء مهما كان رديئاً على غير الأحمر مهما كان جيداً

هذه مكانة الزينة يامولاى عند المتوحشين أما عند أهل الحضر من الشرقيين والغربيين فمن العسير على أن اصفها لك ولكنى اكتفى بأن أقول لهم قد شغفوا بالزينة وقدموها على المنفعة فى كل شيء

حتى فى العلم والمعرفة فترى أحدهم يقتنى من الذخائر والنفائس ما لا يحتاج إليه وربما لم يجد فى بيته فراشا ممهداً ينام عليه

أما فى الأزياء فحسبك أن الأمر أصبح مختلطا فمال الرجل إلى تقليد المرأة فى ثيابها وترجيل شعرها وتصفيف طرتها

وترى المرأة قد بالغت فى الزينة حتى سئمتها وربما مالت إلى تقليد الرجل فى بساطة الملبس والتخفيف من الزينة

وجملة القول أنك قليلا ما تجد الفرق بين الرجل والمرأة فى حب الزينة والميل اليها .

[يتقدم إليه شيطان آخر كثير الحركة . . .]

الشيطان : أما أنا فشيطان المرقص وعملى سهل جداً وهو ان اظهر ميل الرجل إلى المرأة والمرأة إلى الرجل بشكل فظيع فيجتمع جمهور المسلمين فى مكان فسيح الأرجاء ويجلس إليهم فتيات يغنين ويهزين بألفاظ لا تفهم غير أنها مثيرة للعواطف ، ثم يظهر فتيات على ما يسمونه المرقص فيتلوين تلوى الحيات ويظهرن ما أمر الله أن يستر من بطونهن وظهورهن .

وعفوا ياسيدى الرئيس لا تسأل عن تلك النخوة العربية وعن تلك الحمية الدينية فكل ذلك قد ذهب به الترف والقوم يفعلون ذلك على أعين رجال الدين وعلى مرأى منهم ومسمع .

[يتقدم إليه شيطان آخر . . . .]

الشيطان : أما أنا فشيطان القرآن .

ابليس : وكيف بلغت بك الجرأة إلى هذا الحد وهل يصح أن يلعب الشياطين بالقرآن ؟

الشيطان : المسألة بسيطة جداً يا مولاى فقد حببت إلى الناس أن يتغنوا بالقرآن بالمجالس كما يتغنون بالزجل والأدوار البلدية فأدخلت فى القرآن الحركة والدوكة والسيكة وغيرها من طرق الغناء والقوم يسمعون ذلك وهم يلغون ويلغطون بين مدخن ومحشش وكل ذلك باسم الدين وبأعين العلماء .

[يتقدم إليه شيطان آخر كثير النزق والطيش]

الشيطان : أنا يا مولاى الرئيس شيطان الانتحار

ابليس : وما هذا الانتحار ؟

الشيطان : هو شىء بسيط ينحصر فى أن الشرقى المسلم يقلد الغربى فى قتل نفسه فلا يكتفى بقتل غيره بل إذا ضاقت نفسه بحادثة كبيرة أو صغيرة وملة

يسيرة أو عسيرة يتجرع كأس الموت مستحليا له على مرارته مستلذاً له على بشاعته فيخسر دينه ونفسه وتخسره الأمة التى أنشأته ليكون فيها عاملا مفيداً بل يخسره النوع الانسانى الذى يستفيد منه فائدة كثيرة مهما كان حقيراً صغيراً ومعنى هذا ان داء الأنتحار الذى فشا الآن فى الشرقيين هو آية على فساد الاخلاق وصغر الهمة وانحطاط النفوس .

فان امرأ يقتل نفسه لضجر قد يصيبه من أشياء وهمية خليق أن لا يطمع فى جلائل الأمور ولا يسمو إلى عظائم الأعمال .

ابليـــس : حقاً إنك قد أبليت بلاء حسناً وجاهدت جهاداً شديداً فى ادخال هذه الرذيلة على نفوس المسلمين الذين قد ملىء دينهم بالأمل وحب الحياة وتشنيع القتل والعقوبة عليه بل ان الأمة العربية من أوسع الأمم آمالا وأكبرها أمانى

فإن المؤرخ العالم مهما بحث وأكثر التنقيب يستحيل عليه أن يأتى بحادثة تدل على أن أعرابياً قد انتحر وحسبك بهذا دليلا على قوة هذه الأمة .

الشيطان : كل هذا حق ولكن حادثة واحـــدة فى التاريخ الخرافى للعرب تدل على الانتحار وهى التى تعينى أحياناً على تضليل المنتحرين .

ابليـــس : وما هى هذه الحادثة ؟

الشيطان : هى حادثة الزباء ملكة تدمر التى رأت عدوها مقبلا عليها يريد قتلها وقد ظفر بها وأخذ عليها طرق الحياة فمصت فصاً من السم كان فى اصبعها وقالت ذلك المثل المشهور بيدى لا بيد عمرو .

ابليـــس : أحسنت كل الاحسان فشكراً لك

[يتقدم إليه شيطان آخر]

الشيطان : أنا يامولاى الرئيس شيطان الخمر فقد هجت فى نفوس النـاس ميلهم إلى نسيان أنفسهم للأستراحة من العناء والشقاء فكان من ذلك ومن خمولهم الدائم ميل إلى الخمر والحشيش وأنواع المنزول .

إبليس : [ضاحكا] وما هذا المنزول ؟

الشيطان : هو أنواع من العقاقير يخلطونها وفيها المغيبات فيبتلعونها مساء كل يوم ويشربون بعدها قرباً من القهوة حتى إذا صهرت فى بطونهم صعدت إلى رؤوسهم فغابوا عن أنفسهم وكان منهم المحدثون بالغيب والذين يتلقون الوحى من السماء ويزعمون أنهم أقطاب الوجود .

إبليس : [يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا يا مولاى شيطان الميسر فقد أعدت الامم المتحضرة إلى عهـــد الأمم الجاهلية الهمجية .

فبدل ان كان أولئك يقامرون فى جمل أو شاة أصبح هؤلاء يقامرون فى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ،

ولو أن أموالهم تخرج من أيديهم إلى أيدى اخوانهم لهان الأمر ولما ذهبت الثروة العامة ولكنها مع السرور تذهب إلى الأجانب غنيمة باردة .

إبليس : [يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت ؟

الشيطان : أما أنا فشيطان الزنا ولم أصنع شيئاً إلا أنى جعلت الزنا رسمياً يجرى بأمر من الحكومة الاسلامية التى يأمرها الله بجلد الزانى والزانية أو رجمهما .

إبليس : [يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا يا مولاى شيطان الصحف فقد حببت إلى القوم تقليد الفرنج فى نشر الصحف التى يسمونها الجرائد والمجلات ولكنى عدلت بهم عن الطريق الواضحة التى هى خدمة الأمة والدفاع عنها إلى تلك الطريقة الجميلة التى هى التجارة بالآراء السياسية وبالدين وبالعادات وبالقذف بالأعراض والأشخاص حتى أصبحت هذه الصناعة مصدر البلاء المطلق للأمة كافة والناس يرقصون إعجاباً بها وإنما هى رقصة المذبوح يستلذ ألم السكين فى أول الأمر وليعلمن نبأه بعد حين ولا تسل يا مولاى الرئيس عن تلك الصور الخليعة المشينة

للعواطف السيئة التى تنشرها تلك الصحف وتحلى بها صفحاتها فقد أصبحت مفسدة للأخلاق وأى مفسدة وحتى أصبح لا يخلو منزل منها ، كل ذلك على مرأى من رجال الدين هذا بعض عملى فى افساد النفوس والأخلاق وأنت ترى أنه ينحصر فى تحويل الحضارة إلى وحشية قبيحة وأننى أرجع بالانسان الراقى إلى عصر الهمجية .

إبليس : لقد أحسنت تمثيل دورك فاثنى عليك وأشكرك شكراً جماً .

[يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت . . . ؟

الشيطان : أنا يا مولاى شيطان الوطنية .

إبليس وما هذه الوطنية ؟

الشيطان : هى الانخداع بالأسماء والغلو فى تعظيمها والاندفاع فى ذلك إلى حد يشبه الجنون واعتقاد أن الصياح بالحياة والسقوط والرفعة والانحطاط يكفى للرقى الحقيقى فى الحياة العامة والخاصة .

وكل ذلك قد أوقعته فى نفس الكثير من الشبان فتراهم قد اجتمعوا لأى حادث يجهرون ويرفعون أصواتهم بالنداء لفلان أو عليه فيضطر أولو الأمر إلى ارجاعهم عن هذا الغى وهدايتهم إلى الصواب .

وقد خيلت اليهم أن رقى البلد رهين بهذا الطيش المزعج فعكفوا عليه واشتدوا فيه ووصموا أنفسهم بأمور يفرون منها ويخافونها .

وقد شغل الشبان بهذا الطيش عن الأعمال الأساسية التى يقوم عليها الرقى الصحيح .

فلا علم ولا تعلم ولا زراعة ولا تجارة ولا صناعة ولا جد فى شىء من الاشياء إلا ما تقدم اليك الشياطين بوصفه .

ولولا أنى ألهيتهم عن الاعمال الجدية النافعة ما وجد إخوانى سبيلا إلى نجاحهم فى تلك المهلكات الكثيرة .

فان أمر أيعتقد أنه إنما خلق للصياح والضجيج يمكن بسهولة صرفه إلى اللهو والفجور وحشو عقله الفارغ بالاوهام والاباطيل وعلى هذا تستطيع أن تنظر إلى الكثير منهم فلا ترى الا قوماً من أولى البطالة قد لجـــوا فى طنين الذباب ونقيق الضفادع من غير ما فائدة ولا نفع مأمول .

إبليس : إنك لماهر مجيد خليق بالمكافأة والجزاء .

[يتقدم اليه شيطان آخر]

الشيطان : أنا شيطان الحرية الدينية .

إبليس : وما هى هذه الحرية ؟

الشيطان : ألحد الفرنج وتعلم بينهم المسلمون فأرادوا أن يلحدوا وعللوا أنفسهم بأنهم أحرار فى الدين ، وقد حببت اليهم هذه الخدعة وزعمت لهم أن الدين يجب أن يتشكل بأشكال الانسان ، لا أن الانسان يجب أن يتشكل بأشكال الدين ، فأصبحت الامة قسمين قسم الشبان الملحدين وقسم الشيوخ الجامدين وبين أولئـــك وهؤلاء نفر من المنافقـــين المذبذبين الذين لا ينفعون ولا يشفعون .

أما المصلحون فأنا لهم بالمرصاد وقد عذبت منهم نفراً كثيراً فأريتهم من العذاب والهون مالا أستطيع أن أصفه لك فأن آثار الضجر ظهرت عليك .

إبليس : حسناً لقد أجدت تمثيل دورك فشكراً لك .

[يتقدم اليه شيطان آخر] .

الشيطان : أما أنا يا مولاى فشيطان الشهادات وعملى ينحصر شرحه فى عبارة موجزة ولكنها مضحكة .

فقد جعلت العلم عند الناس أشبه شىء بما تخرجه الحقول من الحنطة والشعير أي أن له مكاييل يكال بها فتعرف مقاديره ، ولكل مقدار منه

قيمة خاصة ، وهذه المكاييـــل يسمونها الشهادات . فيدرس الطفل فى المدرسة الاولى حتى إذا أتم الدرس فيها وأخـــذ منها صاعا أو صاعين من العلم اشترت الحكومة منه هـــذا المقدار بمقادير معينة من المال وكذلك الامر فى الشهادة الثانية والعالمية

ويظهر أن الناس قد أعجبوا بهذا النوع من التجارة العلمية ففضلوه على الزراعة والصناعة أيضاً وقد أثمر هذا الغرس الذى غرسته أثماراً مختلفة .

الاولى ـــ أن العلم لم يعـــد مصلحاً للعقول مربياً للكفآت لان الناس لم يطلبوه لذاته وانما طلبوه لثمنه من الاعمال الادارية والعسكرية .

الثانية ـ أنه أصبح قليـــلا جداً فى نفوس الناس لأنهم لا يأخذون منه الا المقدار الذى ينيلهم الشهادة، ولو أنهم أرادوا أن يزدادوا علماً لما وجدوا بين أيديهم ما يسمح لهم بذلك ، لأن الحكومة لم تدع فى مدارسها من العلم الا ما يخرج لها آلات عاملة فى المصالح المختلفة

وزد على ذلك أن حرص الناس على هذه الشهادات لم يكتف بصرفهم عن الأعمال النافعة فقط ، بل اشتد فى أنفسهم حتى أصبح احدهم ان ظفر بالشهادة عظم فى نفسه حتى ادعى لها كل فخر والصقها بكل عز ، وأن فشل فى نيل الشهادة أو فى نيل الوظيفة بلغ اليأس من نفسه واستحكم القنوط فى قلبه ، وكان أحسن قربان ما يقـــدمه صديق شيطان الانتحار إلى دار الجحيم.

ابليس : لقد أحسنت الحيلة واتقنت العمل وأحرزت النجاح

الشيطان : فلم تبق الا المكافأة

[يتقدم شيطان آخر]

ابليس : ماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا شيطان القتل وعملي بسيط جداً وهو أن أسعى فى أن يذبح الانسان

كما يذبح الحيوان وربما قتل الانسان أشنع قتلة فى دجاجة او صاع من شعير

[يتقدم شيطان آخر]

ابليس : وماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا يا مولاى شيطان البيع وعملى ينحصر فى الغش .

شيطان آخر . وأنا شيطان إحراق المزروعات وعملى ينحصر فى تحويل الجنات الناضرة إلى رماد تعبث به الريح

آخـــر : وأنا شيطان تسميم الحيوانات وعملى ينحصر فى أن يكون نصيب الحيوان من القتل ظلماً كنصيب الانسان على الاقل

آخـــر : وأنا شيطان مجلس الامن وهيئه الأمم المتحدة

إبليـــس : وما مجلس الامن هذا وما هيئة الامم المتحدة هذه ؟
فإنى أرى انكم قد اصطلحتم على أشياء لم يكن لى بها عهد

الشيطـان : هما هيئتان دوليتان ظاهرهما الرحمة وباطنهما العذاب

إبليـــس : وأنت ماذا فعلت ؟

الشيطـان : أنا يا مولاى الرئيس شيطان الجمعيات الخيرية

إبليـــس : وما عملك فى هذه الجمعيات . . ؟

باسم هذه الجمعيات وباسم هـــذه الحفلات التى تقام باسم البر والاحسان هتك القوم ستار الحياء وحطموا تقاليد الدين ورضوا عن طيب خاطر أن تخرج نساؤهم وفتياتهم الى الشارع لتروج لتلك الجمعيات كما يقولون وباسم هذه النهضة المزيفة التى يزعمونها . أصبح كل شىء فى نظر القوم جائز ومباح وأصبح حديث الدين والتقاليد حديث خرافة وحديث قديم مبتذل .

وقد حرم الدين شرب الخمر وها هو الخمر يباع ويشرب علنا باسم البر

والاحسان ، وها هو الميسر وقد حرمه الدين أيضاً يباح بأمر من الحكومة الاسلامية وعلى مرأى ومسمع من رجال الدين

إبليـــس : لقد أجدت تمثيل دورك فشكراً لك وستنال مكافأتك وإنك بها لخليق

آخـــر : أنا شيطان الاندية

آخـــر : أنا شيطان التبشير

آخـــر : أنا شيطان التمثيل

آخـــر : أنا شيطان الربا

[وهنا يضج إبليس ويثب من مكانه ويصيح الشياطين]

أنا شيطان . . . أنا شيطان . . . أنا شيطان . . . ثم تختلط أصواتهم فيصيح فيهم ابليس . . .]

إبليـــس : ويحكم كفوا عن اللغط وسوف استمع اليكم فى مؤتمركم القادم

[هنا تسمع الاصوات عالية من جهنم والزبانية يصيحون . . .]

الزبانية : هذا ما قدمت أيديكم فذوقوا ما كنتم تعملون

ابليـــس : [لأعوانه] انى أشكركم أيها الأعوان المخلصون على ما ابديتموه من العناية فى افساد الشعوب الاسلامية وأرجو أن تتخذوا هذه الخطة سبيلا لكم إلى يوم الدين .

[ثم يضج الشياطين ويشتبكون ويرقصون والرئيس فى وسطهم وهم ينشدون . . .]

عاد سلطان الجحيم بعد ما كان اندثر

وانطوى ظل النعيم بعد ما كان انتشر

رب شيطان رجيم فاز بالنصر المبين
وإلى سوء العذاب ساق ابناء البشر

* * *

يا بنى الانسان مهلا انه حكم القضاء
لا تذموا الشر جهلا فكذاك الله شاء
جعل القسمة عدلا بين شك ويقين
ففريق فى الثواب وفريق فى سقر

* * *

لا تسبونا ولا تكثروا فينا الجدال
واطيعونا بلا ايما قيل وقال
كل حق فإلى باطل من بعد حين
ثم من غير ارتياب نحن اصحاب الظفر

استدراك

حدث أثناء الطبع بعض غلطات بسيطة ان نشير إليها كلها اكتفاء بفطنة القارىء اللبيب وسنكتفى بتصحيح ما يلى :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	١٨	مزة	مرة
١٥	١٦	المعمورة لا	المعمورة التى لا
٢٥	١٤	عزا	غزا
٢٧	١٣	دهمتنا النازلة لا أجد	دهمتنا النازلة وأصابتنا الكارثة التى لا مرد لها
٢٨	٢	وأن	اوان
٢٨	١٦	عاد	عادلة
٣٠	٢١	وعبثاً	عبثاً
٣٠	٢١	يترك	ويترك
٣٠	٢٢	رفيعة بسور متين تلك	رفيعة تلك
٣٠	٢٣	وبين الناس	وبين الناس بسور متين
٣١	٢٤	تلقى	بتلقى
٣٢	١٦	ففنن	ففتنى
٣٢	٢٥	اتت	أتيت
٣٦	١٧	قد	وقد
٣٦	٢٣	أرى	وارى
٦٥	٨	القيل	الفيل
٨٥	١١	الأخصين	الأخصين

obeikandl.com